وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة العربي التبسي - تبسة
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

جدلية الأنا والآخر في رواية "في ديسمبر تنتهي كل الأحلام" لـــ"أثير عبد الله النشمي"

مذكرة مكملة لنيل شهادة ماستر (ل.م.د) في اللغة والأدب العربي

تخصص: أدب حديث عربي ومعاصر

إعداد الطالبتين:
- عبلة طواهرية
- نجيبة شيخ

إشراف الأستاذة:
د. مسيكة ذيب

أعضاء لجنة المناقشة:

الاسم واللقب	الرتبة العلمية	الجامعة	الصفة
شنيني عبد الله	أستاذ محاضر ب	العربي التبسي	رئيسا
مسيكة ذيب	أستاذ محاضر ب	العربي التبسي	مشرفا ومقررا
صبرينة بوقفة	أستاذ محاضر ب	العربي التبسي	عضوا مناقشا

السنة الجامعية

2020 – 2021

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة العربي التبسي - تبسة

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

جدلية الأنا والآخر في رواية "في ديسمبر تنتهي كل الأحلام" لــ"أثير عبد الله النشمي"

مذكرة مكملة لنيل شهادة ماستر (ل.م.د) في اللغة والأدب العربي

تخصص: أدب حديث عربي ومعاصر

إعداد الطالبتين:

- عبلة طواهرية
- نجيبة شيخ

إشراف الأستاذة:

د. مسيكة ذيب

أعضاء لجنة المناقشة:

الاسم واللقب	الرتبة العلمية	الجامعة	الصفة
شنيني عبد الله	أستاذ محاضر ب	العربي التبسي	رئيسا
مسيكة ذيب	أستاذ محاضر ب	العربي التبسي	مشرفا ومقررا
صبرينة بوقفة	أستاذ محاضر ب	العربي التبسي	عضوا مناقشا

السنة الجامعية

2021 – 2020

بسم الله الرحمن الرحيم

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ
وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ
ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾ الحجرات: ١٣

مقدمة

مقدمة

إنّ البحث في العلاقة بين الأنا والآخر، أو صورة الآخر في تقابله الضدي مع الذات، يعتبر من أهم الموضوعات المشتقة من رؤيتنا للعالم الخارجي المحيط بنا، إذ تعد رؤيتنا لهذا العالم موضوعا مهما كثير التداول في حقل الدراسات الأدبية، وبالتالي، فإن بحثنا عن الذات يقتضي بالضرورة البحث عن الآخر، فهذان الطرفان متلازمان لا يمكن الفصل بينهما، أو معالجة أحدهما دون غيره.

والحقيقة أن هذه الثنائية (الأنا والآخر) تعد من بين المسائل الهامة التي طرحتها الرواية العربية الحديثة والمعاصرة على حد سواء، نظرا لأهميتها وخطورتها، وذلك من وجهات نظر عديدة تحاول التركيز على إبراز مستوياتها المختلفة، فهناك من تناول ثنائية (الشرق=الأنا/ الغرب= الآخر)، محاولا إلقاء الضوء على الآخر المهيمن المتسلط والباطش والمتطور علميا وحضاريا، على خلاف الأنا العربية أو الشرقية التي تظهر في موقف الضعيف الذي يرزخ تحت وطأة القهر والمعاناة، مع الإشارة إلى أن بعض النصوص الروائية لم تنح هذا المنحى، بل ذهبت –على النقيض من ذلك- إلى تصوير الآخر الغربي في صورة المتطور، المتقدم، المتحضر، والمعصوم من الخطأ.

وهناك من ركز على ثنائية (الذكورة/ الأنوثة)، والجدال القائم بينهما، خاصة وأن المجتمع العربي الشرقي ذكوري بامتياز، على أن هناك من أثار مسألة الدين، وبوجه خاص (الإسلام/ المسيحية)، داعيا إلى نبذ التطرف، وعدم إقصاء الآخر المختلف عن الأنا عقائديا.

ونظرا للمكانة التي يحتلها موضوع الأنا والآخر في الساحة الفكرية والأدبية العربية، ارتأينا أن يكون موضوع بحثنا موسوما ب: "جدلية الأنا والآخر في رواية "**في ديسمبر تنتهي كل الأحلام**" للروائية السعودية "**أثيرعبد الله النشمي**"، وذلك بغية الوقوف على صورة الآخر الغربي، وما يمكن أن يحدثه من تغيرات في مخيلة الأنا العربية، بمجرد حدوث لقاء ما بينهما، سواء أكان نوع هذا اللقاء تصادما عنيفا أم تعايشا ثقافيا يدعو إلى التسامح، ويرجع سبب اختيارنا لهذا الموضوع إلى عدة أسباب ودوافع، بعضها ذاتي، والبعض الآخر موضوعي، أما الدوافع الذاتية، فتتمثل في:

- إعجابنا بهذه الرواية "**في ديسمبر تنتهي كل الأحلام**" انطلاقا من عنوانها، وصولا إلى شخصياتها وحبكتها الفنية، وما شد انتباهنا بشكل لافت هو لهجة الكاتبة المميزة وتداخل اللهجات والأصوات السردية.

- رغبتنا في الإطلاع على أدب البلدان العربية الأخرى، كمنطقة الخليج العربي.

وأما الموضوعية، فإنها ترتبط ب:

- أهمية الموضوع وخصوصيته.

- إثارة الرواية لمسألة المثقف العربي، وموقفه إزاء مجتمعه من جهة، والآخر/الغربي من جهة ثانية.

- بلورة الرواية لصراعية واضحة المعالم بين المجتمعين الذكوري والأنثوي، ناهيك عن موقف كاتبة العمل من الدين.

وإذا كان الهدف من هذا البحث هو إبراز تجليات الأنا والآخر في المدونة التطبيقية سالف الذكر التي وقع عليها اختيارنا، فإن تحقيق ذلك لن يكون إلا بالإجابة عن بعض الإشكاليات الجديرة بالطرح، والتي من أهمها:

كيف تمظهرت صورة الأنا والآخر في رواية "في ديسمبر تنتهي الأحلام"؟ وهل هذه الرواية سعت إلى مد جسور التقارب والتفاهم بينهما، أم أنها عمقت من الهوة الموجودة بينهما؟

وللإجابة عن هذه الأسئلة اعتمدنا على خطة تكونت من مقدمة، مدخل وفصلين، فخاتمة ثم قائمة المصادر والمراجع، وأخيرا فهرس للمصادر والمراجع وآخر للمحتويات.

خصصت المقدمة لطرح الإشكالية، أما المدخل، فقد جاء للتعريف ببعض المصطلحات ك: الأنا، الآخر، والهوية، أما بالنسبة للفصل الأول، والذي يحمل عنوان: تمثلات الأنا والآخر في بعض الروايات العربية، فقد ركز على استجلاء تمظهرات الأنا والآخر في كوكبة من الروايات العربية.

ويأتي الفصل الثاني، والموسوم ب: جدلية الأنا والآخر في رواية "**في ديسمبر تنتهي كل الأحلام**" للكاتبة "**أثير عبد الله النشمي**"، ليعمل على إبراز اشتغال هذه الثنائية داخل المتن النصي في طابعها الصراعي والجدلي.

أما الخاتمة، فإنها تقدم حوصلة نهائية للنتائج المتوصل إليها خلال مسيرة البحث.

ولتجسيد أشواط هذه الخطة وفصولها، وجدنا أن المنهج التحليلي هو الأنسب لطبيعة طرحنا، مستعينين بمجموعة من المراجع كذخر معرفي لا غنى عنه، أهمها:

إشكالية الأنا والآخر، نماذج روائية عربية لماجدة حمود، ومخاطر العولمة على الهوية الثقافية لمحمد عمارة، ونحو علاقة متوازنة مع الآخر، لعبد العزيز، كحيل، والأنا والآخر في الشعر الصوفي لعباس يوسف الحداد.

ومن الصعوبات والعراقيل التي اعترضت سبيل بحثنا نذكر:

- صعوبة الحصول على المراجع المتخصصة في الموضوع، نظرا لقلتها.
- اختلاف وجهات نظر الباحثين في الموضوع وتداخلها بشكل كبير.
- البروتوكول الصحي الذي فرض علينا التباعد الاجتماعي.

ولكن بفضل الله عز وجل وتوجيهات الأستاذة المشرفة استطعنا إخراج هذا البحث رغم ما يحتويه من نقائص.

وأخيرا نحمد الله عز وجل قبل كل شيء على توفيقنا على إتمام هذه المذكرة المتواضعة، ونتمنى أننا قد أسهمنا ولو بقدر بسيط في فتح الباب أمام دراسات أخرى مستقبلية، تكون أكثر عمقا وإلماما بهذا الموضوع، كما نتقدم بأسمى عبارات الشكر والامتنان، وأصدق كلمات التقدير والعرفان للمشرفة الأستاذة: "**ذيب مسيكة**" على كل ما قدمته لنا من نصائح وتوجيهات وملاحظات دقيقة، وعلى مساعدتنا لإتمام هذا العمل.

مدخل

تحديد مفاهيمي

1- الأنا والآخر
2- الهوية

أوّلا: الأنا والآخر

- **تمهيد:**

تشكل ثنائية الأنا والآخر جدلية وجدت منذ وجد الإنسان على سطح هذه المعمورة الكونية، وتبعا لذلك فإن العالم تتازعه إرادتان، إرادة البقاء في مقابل إرادة الهيمنة والسيطرة التي لا تكف عن افتراس الهوية وسلبها وتعويضها بهوية أخرى، وهي إشكالية مرتبطة برغبة شديدة في التميز واقتناص الفرادة.

وإذا كانت مسألة الأنا والآخر هي إشكالية سردية تحضر في النص الروائي، انطلاقا من وجهة نظر الروائي، الذي قد يعمد إلى تقديمها في صورة شائكة ومعقدة أو على العكس من ذلك، إذ أنه قد يعرضها بكل وضوح، إذا ما كانت مقترنة بالآخر، فماذا نقصد بثنائية الأنا والآخر يا ترى؟

1- مفهوم الأنا:

أ- لغة

جاء في "**لسان العرب لابن منظور**" بخصوص هذه اللفظة أن الأنا «اسم مكني، وهي للمتكلم وحده وإنما يبني على الفتح فرقا بينه وبين أن التي هي حرف ناصب للفعل والألف الأخيرة إنما هي لبيان الحركة في الوقف»[(1)].

نلاحظ من خلال ما تقدم أن كلمة الأنا تحيل على الذات المتكلمة أو كينونة الفرد المتحدثة.

هذا، وقد وردت لفظة الأنا في معجم "المنجد": «لتحيل على ضمير رفع منفصل للمتكلم والمتكلمة (أنا قلت ذلك) ميز المتكلم، ويراد به عند الفلاسفة العرب الإشارة إلى النفس المدركة»[(2)].

---

(1). أبوالفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي، لسان العرب، مج13، دار صادر، بيروت، ط4، 2005، مادة (أنن، أني)، ص: 182.

(2). أنطوان نعمة وآخرون، المنجد في اللغة العربية المعاصرة، دار المشرق، بيروت، لبنان، ط1، 2000، مادة (أمينوس)، ص: 45.

وهي الدلالة نفسها التي جاءت في المعجم الوسيط، فكلاهما نظر إليها باعتبارها ضمير رفع منفصل، دال على الذات المتكلمة.

ب- اصطلاحا:

إنه لمن الصعوبة أن نجد تعريفا دقيقا لمفهوم الأنا، ذلك أنه حظي بجملة من التعريفات والتحديدات الاصطلاحية، إذاعتبر البعض: «أن مصطلح الأنا مراوغ يستعصي على التعريف والتحديد الاصطلاحي لأنه يدخل في مشاركة كبيرة في أغلب الفروع الإنسانية: الفلسفة، علم النفس، علم الاجتماع، علوم العربية»[(1)].

والحقيقة أننا نلمس تداخلا كبيرا فيما يتصل بمصطلح (الأنا) بين النفس والعقل عند الفلاسفة العرب، وفي هذا السياق يقول "**عباس يوسف الحداد**" مؤكدا: «تطابقت الأنا بوصفها مع الذات المفكرة عقلا، وقد تأرجحت الأنا بين العقل والنفس في الفلسفة العربية حتى أصبحت أقرب إلى النفس منها إلى العقل»[(2)].

أما في المجال الأدبي، فإن الأنا تتقاطع مع الذات /الهوية والشخصية، وتشكل مترادفات لها على الصعيد الاصطلاحي، وتبعا لذلك، فإن: «الأنا هي الذات وما تحمله من مظاهر وخصائص ثقافية أو نفسية وما تشمل عليه من أفكار وآمال وطموحات وصراعات وتوترات؛ أي أنها مجموعة السمات التي تميز الذات، وتعرف بها من خلال مظاهر داخلية (التفكير، الوعي،القيم والمكتسبات)، وأخرى خارجية (الشكل، المظهر، واللباس)»[(3)].

[(1)].عباس يوسف الحداد، الأنا والآخر في الشعر الصوفي، ابن الفارض أنموذجا، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، ط2، 2009، ص:187.

[(2)].المرجع نفسه، ص:102.

[(3)].سعد فهد الذويخ، صورة الآخر في الشعر العربي من العصر الأموي حتى نهاية العصر العباسي، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2009، ص: 07.

إذن فالأنا مستقل بذاته، ولكن يملك كينونته الخاصة في وجوده التفاعلي مع الآخر، إذ يستدعي وشائج وطيدة مع الوعي والإدراك، وبالتالي فالآخر ذات تقف في الضفة المقابلة بالنسبة للأنا.

وإذا شئنا الإحاطة بماهية الأنا (الذات) من منظور علم النفس، وجدنا "**سيغموند فرويد Sigmund Freud**" يذهب في تعريفه إلى حد القول: «الذات هي كل ما تشمل عليه هذه الذات من خصائص وسمات نفسية وعقلية أو مزاجية، ودفاعية من أفكار وطموحات وصراعات أو توترات، وحاجات فيزيولوجية، وحاجات نفسية كالحاجة للحب والانتماء أو الأمن وتحقيق الذات وغيرها من الحاجات والدوافع»(1).

نفهم من هذا الطرح أن (الذات/الأنا) ترتبط بقيم المجتمع وقواعده، حيث من الممكن للأنا أن تقوم بإشباع بعض الغرائز التي يطلبها الهو، ولكن في صورة متحضرة يتقبلها كلاهما.

ويعرف "**جيمس مارك بالدوين James Mark Baldwin**" الأنا بقوله: «هو ذلك التيار من التفكير الذي يكون إحساس المرء بهويته الشخصية»(2)، إنه إحساسنا بكينونتنا وخصوصية هويتنا، ذلك أن استيعاب ذواتنا لا يتم إلا عبر مسار هذا التيار.

ويرى "**روني لوكيبي Ronnie Lukebe**" أن «الأنا في حقل علم النفس، لا يحيل سوى على: «مجموعة التنسيق للسمات الشخصية التي يسندها الفرد لنفسه حيث تنظم أولى التصورات وتتعمق من خلال إدراك التصورات الذاتية مما يؤدي إلى بروز إحساس عميق بالوحدة والانسجام والثبات وديمومة في الوقت وتسمح للفرد بالتعرف على نفسه في كل الأوقات مقارنة لنفسه بالآخرين»(3).

---

(1). عمرو عبد العلي علام، الأنا والآخر(الشخصية العربية والشخصية الإسرائيلية في الفكر الإسرائيلي المعاصر)، دار العلوم، القاهرة، مصر، ط1، 2005، ص: 9، نقلا عن: عبد المنعم بدر وأحمد الصباحي عوض الله، تفسير الأحلام الديني والعلمي، ص: 39.

(2). المرجع نفسه، الصفحة نفسها، نقلا: شاكر عبد الحميد، الظل والقناع، أنا تبحث عن ذاتها، ملجة "إبداع"، ع06، ص: 132.

(3). حسيبة لصقع، تصورات الأمومة وعلاقتها بتصور الذات لدى الفتاة الجامعية ، مجلة التنمية البشرية، جامعة وهران2، الجزائر، ع3، فبراير، 2011، ص: 123.

إذن، لا تترسم حدود الأنا من منظور"**لوكيبي**" في مجال علم النفس، إلا من منطلق التنسيق بين جملة من الخصائص والمميزات الشخصية، التي من شأنها أن تتيح للفرد التعرف على ذاته في وضع تقابلي مع الآخر.

وعلى صعيد الدراسات الاجتماعية، يستوقفنا رأي الباحث "**عباس يوسف الحداد**" الذي يرى أن: «مفهوم الأنا يرتبط ارتباطا وثيقا بالهوية الفردية والاجتماعية من قيم وتقاليد موروثة أو مكتسبة كتغيير موسع للأنا عن الهوية الجمعية»[1]. والحقيقة أن هذا الطرح ينزع نزوعا واضحا نحو التركيز على طبيعة العلاقة بين الهويتين الفردية والاجتماعية للشخص، والتي ترتبط بالتقاليد والقيم الموروثة .

ولا يقصد بالأنا في مجال علم الاجتماع سوى «الفرد الواعي لهويته المستمرة ولارتباطه بالمحيط بإحساس الفرد بأناه لا يتحقق إلا بعد إدراكه لكينونته أولا، كيف لا وجسدي هو مركز التوجيه نقطة الصفر منه أرى كل ما استطيع رؤيته»[2].

ومن خلال ما سبق نستخلص أن الأنا يرتبط ارتباطا وثيقا بالمحيط الخارجي، كما أن الفرد لا يدرك كينونته إلا من خلال اتصاله وتعاطيه مع غيره .

2- مفهوم الآخر:

أ- لغة:

جاء في "**لسان العرب**" في مادة **(آخر)** قول :**ابن منظور**": «الآخر بالفتح: أحد الشيئين وهو اسم على أفعل والأنثى أخرى إلا أن فيه معنى الصفة لأن أفعل من كذا لا يكون إلا في الصفة والآخر بمعنى غير، كقولك: رجل آخر وثوب آخر، وأصله أفعل وتصغير آخر أو يخر، جرت الألف المخففة عن الهمزة مجرى ألف ضارب، وقوله تعالى:«فآخران يقومان مقامهما» فسره ثعلب فقال: فمسلمان يقومان مقام النصرانيين

---

[1]. حاتم زيدان، العيد جلولي، جمالية المراوغة والتوظيف الضمائري للأنا والآخر عبر اللغة الشعرية، مجلة الأثر، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، الجزائر، ع29، 2017، ص:198.

[2]. ميخائيل إبراهيم أسعد، شخصيتي كيف أعرفها؟ دار الآفاق اللبنانية، لبنان، ط3، 1987، ص:07.

يحلفان أنهما إختانا ثم يرجع على النصرانيين وقال الفراء: معناه أوآخران من غير دينكم من النصارى واليهود»[1].

ونلاحظ أن الدلالة اللغوية لكلمة (آخر) على مستوى لسان العرب، انصبت حول الغيرية، فالآخر هو غيرك أو نظيرك وبالتالي، فإن الأنا لا تعي كينونتها، إلا في تقابلها مع الآخر.

ويذهب معجم "**المنجد**" في هذا الشأن إلى اعتبارأن: «أحد الشيء أو الشيئين ويكونان من جنس واحد، أو ما يدل على فرق، على تمييز بين شخصين أو شيء مقصود وأشخاص أو أشياء من الفئة ذاتها والجنس نفسه :(إنك تحب الآخر) أي تحب ليس بالشخص ذاته بل غيره"[2].

وجاء في معجم "**العين**": «نقول هذا آخر، وهذه أخرى(....) والآخر: الغائب، وأما آخر فجماعة أخرى»[3].

أما في معجم "**تاج العروس**" فكلمة الآخر تعني: «رجل آخر، وثوب آخر، وأصله أفعل من تأخر فمعناه أشد تأخرا، ثم صار بمعنى المغايرة»[4].

تضعنا هذه المعاجم اللغوية على أعتاب الاتفاق على الحالات الدلالية لكلمة الآخر، التي ترتبط بمعنى: المغايرة، التأخر، والغير...

ب- اصطلاحا:

لم يتضح مفهوم الآخر بشكل جلي، إلا مع تطور المعارف الحديثة، مع التأكيد على تعدد التعريفات، وتشعبت الرؤى الساعية إلى تحديد ماهية الآخر إذ يرى **بول**

(1).ابن منظور، لسان العرب، مج4، (مادة آخر)، ص:12.

(2).أنطوان نعمة وآخرون، المنجد في اللغة العربية المعاصرة، مادة (الآخر، آخر)، ص:11.

(3).الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، تح: مهدي المخذومي وإبراهيم السامري، دار الحرية للطباعة، بغداد، (د ط)، 1984، ص:303، 304.

(4).مرتضى الحسني الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، دار الهداية، بيروت، لبنان، (دط، دس)، ص:33، 34.

ريكور**PaulRicourd** مثلا: «أن الحياة السعيدة لا تكون إلا مع الآخر ومن أجله في مؤسسات عادلة»[1]. فمصطلح الآخر له أهمية كبيرة عند الكثير من الكتاب والدارسين حيث يعرفونه:«الآخر هو طرف غير الذات أو هو الطرف المقابل للذات ... أنه ثمة تلازما بينهما»[2].

وهذا يعني أنهما متلازمان بغض النظر عن طبيعة العلاقة التي تربطهما، فالآخر يعتبر مكونا يسهم في تشكيل الذات وتبلور ملامحها، إذ يقول "**شاكر عبد الحميد**" في هذا الشأن:« إن الآخر قد يكون أحد الأفراد وقد يكون جماعة من الجماعات أو أمة من الأمم، خلافا للآخر قد يكون قريبا وقد يكون بعيدا، وقد يكون عدوا يفكر في أنسب الوسائل للتعامل معه»[3].

ونفهم من كلام هذا الباحث أن الآخر لا يقتصر حضوره على مجال فكري بعينه، بل يتردد في عدة مواضيع، ويتقاطع مع شتى التخصصات والحقول المعرفية.

كما تعددت رؤية الباحثين للآخر، إذ نظر إليه البعض على أنه: «عبارة عن مركب من صفات وخصائص النفس البشرية والاجتماعية والسلوكية والفكرية ، ينسبها فرد ما إلىالآخرين، وكل تعريف يطلق على الأنا من شأنه أن يطلق على الآخر...أي إحالة أن تكون الأنا ترتبط بعلاقة اختلاف سواء في الجنس أو الفكر أو الانتماء مع الآخر تكون الأخيرة هي الآخر»[4].

---

(1). بول ريكور، الذات عينها كآخر، تر: جورج زيناتي،المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، ط1، 2005، ص:346.

(2). فاضل أحمد القعود، جدلية الذات والآخرفي الشعر الأموي، دار غيداء لنشر والتوزيع، عمان، (د ط)، 2012، ص:33.

(3). عمروعبد العالي علام، الأنا والآخر، (الشخصية العربية والشخصية الإسرائيلية في الفكر الإسرائيلي المعاصر)، ص:12.

(4).حاتم زيدان، العيد جلولي، جمالية المراوغة والتوظيف الضمائريللأنا والآخر عبر اللغة الشعرية، ص: 199.

يتضح من خلال هذا القول أن الآخر هو مجموعة من الصفات والخصائص التي تتميز بها النفس البشرية ، وينسبها شخص ما إلى غيره، كما أن الأنا يرتبط ارتباطا وثيقا بالآخر سواء كانت العلاقة علاقة اختلاف في الجنس أو السلوك أو الفكر أو الانتماء.

هذا فيما يتعلق بالمعطى المفهومي في الدراسات الأدبية، أما في فيما يتصل بعلم النفس، فإننا نجد الفيلسوف "**جون بول سارتر Jean-Paul Sartre**" مثلا يقدم تصوره إزاء الآخر حيث يذهب إلى أن :«الآخر هو الأصل ما لا أكونه (الأنا) وهو الوجود كذات(النظرة) في الوقت نفسه، لكن ينبغي أن وجودي للغير ليس غير صورة مني هاجرت إلى شعور أجنبي فالحق أنه موجود واقعي تماما»[(1)]؛ أي تلك المميزات أو الصفات التي يكونها فرد أو جماعة معينة عن ذلك الآخر.

وإذا شئنا الإحاطة بماهية الآخر من منظور علم الاجتماع أمكننا القول أن: «الآخر هو نص الوجود المتشابه لوجودنا والذي يجب قراءته بإمعان ودقة، لكي يتم التعامل معه بدراية تستوفي اشتراطات معقولية علاقتنا معه ونرسم الأفق الإنساني بيننا وبينه .... ولكي يكون مخاض التلازم العلائقي بيننا وبينه واعيا حقيقة التباين، وربما التدافع والصراع»[(2)].

حيث أن العلاقة الاجتماعية بين الأنا والآخر لا تتحقق إلا عن طريق استيعاب الذات، والتي بدورها لا تتحقق إلا من خلال التعامل مع الآخرين، فالأنا والآخر، لا يتحققان إلا بالاستقرار والتكامل الاجتماعي.

ثانيا: مفهوم الهويّة

سبق وأن تعرفنا على دلالة مصطلحي الأنا والآخر لغة واصطلاحا، وبقي لنا أن نتبين كُنْهَ الهوية، ونقف عند الدلالات التي تحيل إلى هذا المصطلح لغة، والذي يعد من

---

(1).أحمد ياسين السليماني، التجليات النفسية لعلاقة الأنا والآخر في الشعر العربي المعاصر، دار الزمان، دمشق، سوريا، (دط، دس)، ص:97.

(2). صالح إبراهيم نجم، جدلية الأنا والآخر في الشعر الصوفي على امتداد القرنين السادس والسابع الهجريين، أطروحة دكتوراه، سوريا، 2013، ص: 83.

أصعب المسائل وأكثرها تعقيدا، لانتقاء صفة التخصص فيه، حيث نجده عسيرا علينا، لتقاطعه مع مجموعة من التخصصات كعلم الاجتماع وعلم النفس والأنثروبولوجيا والسياسة، وكذلك الأدب والفلسفة، وفي إطار رفع اللبس عن هذه المسألة أمكننا الانطلاق من طرح هذا السؤال: ما المقصود بالهوية، وهل لها علاقة وطيدة بالذات أم بالآخر؟

أ- لغة:

لا نعثر على تعريف لغوي دقيق يخدم توجهنا البحثي في المعاجم اللغوية العربية ك "**لسان العرب**" ل: "**ابن منظور**"، و"**القاموس المحيط**" ل: "**الفيروز آبادي**"، وكل ما نجده هو دلالات لغوية ترتبط ب: «البئر بعيدة المهواةِ وعرشها سقفها المغمّى عليها بالتراب...، الهوة الحفرة البعيدة القعر، وهي جمع هوة، وهي الحفرة المطمئن من الأرض ويقال لها المَهْواةُ أيضا»(1).

انطلاقا مما سبق يمكننا القول أن الهوية اسم منسوب إلى "هو"، وهي بمعنى الحفرة البعيدة، والبئر العميقة القعر في باطن الأرض، ونقول هُوَّةً ومَهْوَاة، وكلا الاستعمالين صحيح.

والحقيقة أن مسألة الهوية متعلقة بالذّات، أو لنقل كينونة الإنسان ولذلك فهي تحيل إلى معنى الثبات وحقيقته وصفاته، وهذا ما نجده في كتاب "التعريفات" ل: الشريف الجرجاني" الذي نسمعه يقول: «الهوية الحقيقة المطلقة المشتملة على الحقائق اشتمال النواة على الشجرة في الغيب المطلق...، الهوية السارية في جميع الموجودات...، ألهو بمعنى الغيب الذي لا يصح شهوده للغير كغيب الهوية المعبر عن كُنها باللاتعين، وهو أبطن البواطن»(2).

إذن، لقد بدا "**الجرجاني**" مستوعبا لِكُنْهِ مصطلح "الهوية" الذي جعله دالا على ثبات الشيء وحقيقته المطلقة، المشتملة على جميع الحقائق في عالم الغيب، ولعل ذلك يسري

(1). أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي، لسان العرب، (مادة هوى)، ص: 4729.

(2).الشريف علي بن محمد الجرجاني، التعريفات، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د ط)، 1995، (مادة هوي)، ص: 257.

على جميع الموجودات في عالم الحقيقة، على أن الهو هنا بمعنى الغيب، الذي يبدو غير متاح للجميع، وتبقى الهوية –من منظوره– صفة ثابتة في الذات لا تتبدل ولا تتأثر، ولا تطالها يد التحول في أي حال من الأحوال.

وقد جاء في "**القاموس المحيط**" ل: "**الفيروز آبادي**" أن معنى الهوية: «هُوَّة، بالضم: صعد، وارتفع...هوى...هَوِ: أحَبَّهُ»[(1)].

ويشير هذا الطرح المفهوماتي إلى أن الهوية تأتي بمعنى هُوَّة بضم الهاء، وهذه الأخيرة تصب في معنى الارتفاع والصعود، وهوى بمعنى أَحَبَّهُ.

من خلال ما سبق ذكره نصل إلى أن المفهوم اللغوي للهوية يتخذ عدة معان، فهي تشير إلى معنى البئر العميق، كما تشير إلى الحقيقة المطلقة وثبات الشيء، وأيضا إلى التميز والتفرد عن الآخرين، من خلال إحساس الفرد بحريته المعبرة عن هويته، الأمر الذي من شأنه أن يجعل من مفهوم الهوية مفهوما واسعا شديد الرحابة، خاصة وأن له عدة استعمالات ودلالات فلسفية، قد تتقاطع مع حقول وأنحاء شتى من العلوم، كما أنه ارتحل أيضا عبر فضاءات مختلفة وانتقل من بيئة إلى أخرى، وبَرزَ بمفاهيم كثيرة من خلال تعدد التخصصات والمعارف العلمية والأدبية، كالفلسفة والأنثروبولوجيا، وعلم الاجتماع...، وسنحاول فيما يأتي الوقوف عند بعض التعريفات الاصطلاحية، والتركيز على الطروحات المقدمة في هذا الشأن.

ب- إصطلاحا

إن الهوية ليست حبيسة اللحظة، فهي ترتبط بالأنا ارتباطا وثيقا، فعندما أقول أنا، فهنا أقصد هويتين إنها أمر لصيق بالإنسان، ولا يمكن التنازل عنه عبر الأجيال فهي تتصل بمقوماتنا الفردية الأساسية وبثقافتنا وحضارتنا، ولأجل ذلك نشير في بداية الأمر إلى أن البحث في الهوية هو بحث فيها وعنها، فكلاهما يختلف عن الآخر، بحيث أن الأول معرفي، أما الثاني (عنها)، فهو بحث إيديولوجي في الغالب.

---

(1).مجد الدين بن محمد يعقوب الفيروز آبادي، القاموس المحيط، دار الحديث، القاهرة، (د ط)، 2008، (مادة: هوي)، ص: 1717.

تتعدد التعريفات الاصطلاحية للهوية، وتتباين تبعا للمنطلقات والرُّؤى الفكرية، فمثلا نجدها في عرف حضارتنا العربية الإسلامية تحيل إلى معنى البصمة: «إنها كالبصمة للإنسان، يتميز بها عن غيره، وتتجدد فعاليتها، ويتجلى وجهها كلما أزيلت من فوقها طوارئ الطمس...دون أن تخلي مكانها ومكانتها لغيرها من البصمات»[1].

وعلى هذا النحو، يمكننا أن ندرك معنى الهوية في حضارتنا العربية هي بصمة تميز الإنسان عن غيره، دون أن تترك مكانها لنقيضها، فهي الفرادة والخصوصية، التي تتحلى بها الذات الفردية، دون غيرها، كما تتواتر التحديدات المفهوماتية لمصطلح الهوية، إذ نجدها قد تشير إلى «ما يصمد من الإنسان عبر الزمن، إذ تلازمه مكونة شخصية ومحددة لمعالمه بشكل ثابت، مما يمنح إبداعه طابعا خاصا فلا يكون مسخا للآخرين»[2].

وعلى ضوء هذا التصوّر، ندرك أن الهوية تأتي للدليل على ما يجعل الإنسان صامداً عبر الزّمن، إذ يُلازمه إحساس الأنا بنفسها وبتفرّدها، مدركة معالمها بشكل ثابت، وما يتمّيز به عن غيرها من البشر الآخرين من خلال الشعور بالانتماء، والتّماهي والهوّية.

أمّا بالنسبة للهوّية من المنظور الفلسفي، فإنها منذ بدء تاريخ الفكر الغربي إلى يومنا الحالي لم تُحِلْ سوى على تطابق الشيء مع نفسه، إذ يؤكد الفيلسوف "**هايدغر**" "**Heidegger**" على أن "الهويّة" بهذا المفهوم: «قد قدمت دوما على أنها تتمتع بطابع الوحدة... أن هذه الوحدة هي الفراغ الذي يدوم ويستمر في انسجام فاتر بعيدا عن كل علاقة....»[3].

[1].محمد عمارة، مخاطر العولمة على الهوية الثقافية، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، ط1، 1999، ص: 07.

[2].ماجدة حمود، إشكالية الأنا والآخر، نماذج روائية عربية، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، (د ط)، 2019، ص: 15.

[3]. عبد السلام بن عبد العالي، هايدغر ضد هيجل (التراث والاختلاف)، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط2، 2006، ص: 83، 84.

نستنتج من خلال هذا الطرح أن الهوية منذ بزوغ التاريخ كانت تعني تطابق كل ما هو موجود مع نفسه، وهذا ما يقصده "**هايدغر**" في قوله وحدة الهويّة كانسجام في ذاتها، فلكل كائن موجود على سطح الأرض الحقّ في التحلّي بهوية خاصة به.

أمّا بالنسبة للفلاسفة القدامى، فإننا نجدهم قد استعملوا كلمة هُويّة بضم الهاء، ونحتوها من الضمير "هو" للدلالة على مفهوم الوجود، وقد حدث انزلاق لهذا المصطلح مع ظهور الفلسفة الحديثة، وبعض الفلاسفة المحدثين والمعاصرين أمثال "**أرسطو** **"Aresto**" وهذا ما نجده في الطرح الآتي: «الفلاسفة القدامى استعملوا لفظة "هويّة" المنحوتة من الضمير "هو"...مقابلا للفظة القدامى استعملوا لفظة انستين... للدلالة على وجوه المعنى الذي أقرّه أرسطو لمفهوم الوجود... حيث أصبح يدل على معنى " الذات Sujet من خلال مفهوم "الشيء المفكر"... إلى عبارة "الأنا أفكر"...»[(1)].

وتأسيسا على ما سبق ذكره، نستنتج أن الفلاسفة القدامى وطبقوا لفظة هوية بضم حرف الهاء للدلالة على معنى الوجود، وبمجيء الفلسفة الحديثة والفلاسفة المحدثين، حدث انزياح وانزلاق بهذا المصطلح من معنى الوجود إلى معنى الذات "نحن".

وبعد أن تعرّفنا على التصوّرات الفلسفية إزاء مصطلح الهويّة، جدير بنا أن نرتحل صوب "علم النفس"، الذي كان له اهتماما كبيرا بموضوع الذات الفردية، التي تتحلى بمجموعة من الصفات، وتتمتع بجملة من المواصفات من شأنها أن تتخذ للفرد ذاته وسلوكاته، فوجهة نظر علماء النفس تتجه إلى الإقرار بأن للأفراد معلومات، وتبعا لذلك، فإن الهوية من منظور "**إيركسونEirikson. EH**".

إن الهوية أمر حيوي ولازم لوجود الإنسان، ويتضح ذلك من خلال قوله: «أن أكون ميتا أفضل من أن أكون شخصا غير مكتمل... شخص لا هويّة له»[(2)].

---

(1). فتحي المسكيني، الهوية والزمان، (تأويلات فينومولوجية مسألة "النحن")، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 2001، ص: 07، 08.

(2). هاني الجزار، أزمة الهوية والتعصب، (دراسة سيكولوجية الشباب)، هلا للنشر والتوزيع، الجيزة، مصر، ط1، 2011، ص: 35.

نستشف من خلال هذا القول أن الهوية من الجانب النفسي بالنسبة ل"**إيركسون**"هي مسألة محورية، فإحرازها أمر حيوي وضروري لوجود الإنسان، لأن الحاجة إلى الهوية تعادل الرغبة في الحفاظ على البقاء المادي، ومعنى ذلك أن الفرد إذا لم يستطيع تحقيق هويّة خاصة به، فإن الرغبة في الحياة تكون مستحيلة في المقابل وهذا ما قد يجرّه للانتحار كحل مناسب للمشكلة.

وإذا شئنا ضبط مفهوم الهوية من ناحية الدلالة الأنثروبولوجية والثقافية، لتحديد ظهورها وتجلياتها عند الأفراد، أمكننا القول: «أن إشكالية الهوّية ضمن تطور الحياة النفسية تبرز بشكل جلي أثناء المراهقة... تتجلى أيضا في ذلك القرار المُعلنْ عنه والسري في كثير من الأحيان بالقيام بفعل تمهيدي...»[(1)].

وهكذا فإن إشكالية الهوية وتجلياتها في حياة الإنسان نجدها مرتبطة بمرحلة المراهقة، التي يعيشها الفرد، وما سيتتبع ذلك من تغيير في حياته اليومية، وقد تنعكس على شخصيته، خاصة وأنه قد مرّ خلال هذه الفترة بأصعب المراحل، حيث تتأرجح الذات بين هوية ورثها الفرد فطريا عن طريق أسرته ومجتمعه، وأخرى مكبوتة في أعماقه، قد لا يستطيع الإفصاح عنها، لأنها ربّما لا تجد مقبولية لدى المجتمع.

كما أبدى علماء الاجتماع تأثّرهم إزاء الذات مع تطوّر النظرية الاجتماعية، حيث نجد هذه الأخيرة تركز على السّبل التي تتشكل بها الذّوات اجتماعيا، وأن الحديث عن الهوية من الجانب السوسيولوجي يستدعي بالضرورة حضور مجموعة من العناصر التي تقوم عليها الهوية أساسا وهي: الهوية، الدين، العادات والتقاليد، والمكان الجغرافي، ومن بين علماء الاجتماع الذين تخصصوا في الحديث عن الذّات والهوية نجد "**جورج ميد Gerorg Meed**"، الذي كانت نظريته حول الذّات الأشد تأثيرا خلال القرن العشرين، وذلك لكونها مقاربة سلوكية اجتماعية بالدرجة الأولى، حيث نجده يقول: «إن البشر وعلى النقيض من الحيوانات لا يتجاوبون بسلبية اتجاه المحفظات البيئية، بل يشاركون وبإيجابية

(1). سعيدة بن بوزة، الهوية والاختلاف في الرواية النسوية في المغرب العربي، دار نينوى، دمشق، سورية، ط1، 2016، ص: 24.

في صياغة عالمهم الاجتماعي...»[1]؛ ومعنى ذلك أن بني البشر وعلى خلاف الكائنات الحيوانية يفضّلون المشاركة وبإيجابية في إنشاء عالمهم الاجتماعي، والإسهام في صياغة مبادئه وقيمه، وهذا ما سيؤكد في المقابل انتفاء السلبية في تجاوبهم إزاء المحفزات البيئية، وذلك لسبب بسيط كون الإنسان كان اجتماعي بالدرجة الأولى.

ولا تفوتنا الإشارة إلى وجود تداخل قائم بين الهويتين الوطنية والقومية، هذه الأخيرة التي طالها الالتباس مع مفهوم الأمة الحائز على أسبقية الظهور من الناحية التاريخية، بالمقارنة مع مفهوم القومية، والذي يحيل على «...الاشتراك في ثقافة واحدة... [و] الانتماء إلى جماعة تشترك في سمات ثقافية واحدة»[2].

وإستنادا إلى هذا الطرح، نستنتج أن الهوية القومية تندرج ضمن مجموعة من الصفات الثقافية المشتركة في حدها الأدنى بين جماعة بشرية موّحدة، حيث تمّيزهم عن غيرهم من أفراد الأمم، وذلك من خلال السمات العامة والمشتركة التي تجمع بينها في مرحلة زمنية معينة.

وبعد أن تعرفنا على تقاطع الهوية مع بعض العلوم والحقول المعرفية كالفلسفة وعلم النفس والاجتماع... وغيرها، يجدر بنا الإشارة إلى رأي "**بول ريكور**" حول هذه المسألة، خاصة وأنه ينقلها إلى مجال الاشتغال السردي، وفي هذا الصدد يطرح نمطين من الهوية (الشخصية والسردية)، كما لم يفُته التنويه إلى وجود فرق واضح بين هاتين الهويتين، فبخصوص الأولى يذهب "**ريكو**" إلى: «أن المجادلات المعاصرة حول مسألة الهوية الشخصية وهي حيوية... في حقل الفلسفة الإنجليزية والأمريكية... تقدم فرصة رائعة من أجل المواجهة المباشرة لموضوع التمييز بين العينة والذاتية...»[3].

---

(1). جون سكوت، علم الإجتماع، المفاهيم الأساسية، تر: محمد عثمان، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، ط1، 2009، ص: 211.

(2). سمير أبيش، دور اللغة القومية في بناء وتشكيل الوحدة الوطنية (تجربة المجتمعات الأوروبية نموذجا)، ضمن أعمال اليوم الدراسي: الأمن الثقافي اللغوي والانسجام الجمعي، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، (دط)، 2018، ص: 45.

(3). بول ريكور، الذات عينها كآخر، ص: 250، 251.

إذن، لا يوجد اتفاق بين المنظرين المشتغلين المعاصرين حول مسألة الهوية الشخصية، فالجدل المحتدم هو سيّد الموقف، لأن هذه النقطة بالذات لا تزال جد حيوية في حقل الفلسفة الأمريكية، إنها تفتح المجال أمام خصوصية البحث، وتثير موضوعاً هاماً للغاية هو التمييز بين العينية والذاتية.

أمّا النمط الثاني من الهوية، فيذهب "**ريكو**" بخصوصه إلى القول: «إن الطبيعة الحقيقية للهوية السردية لا تتكشف في نظري إلا في ديالكتيك الذاتية والعينية....»[(1)].

ومن هنا تتضح لنا معالم الهوية السردية من منظور هذا الباحث، والتي من شأنها أن تساهم في تكوين الذّات، لأن الذات تبحث دائما عن هويتها على مستوى حياة بكاملها، وتبعا لذلك فإن فهم الذّات هو علمية تأويل، وهذا التأويل بدوره يجد في السرد واسطة بامتياز مفضلا هذه الذات عن بقية الإشارات والعلامات والرموز، لأن السرد يقتبس من التاريخ، بقدر ما يمنح من القصص الخيالية، جاعلا من تاريخ الحياة قصة لها، بديتها ونهايتها.

وفي سياق هذه الإضاءات المستفيضة لا يجب أن ننسى مسألة الهوية من الجانب الثقافي، والذي يعتبر من أهم النقاط المرتكز عليها في مقاربتنا البحثية، فمن المعروف أن الثقافة أسلوب كامن في الحياة البشرية، والمجتمع بدوره يتطوّر ويرتقي من خلالها، أما بالنسبة للهويّة الثقافية، فإننا نجدها أكثر رواجا في هذا المجال، لما لها من تراث ثقافي متميز، يشمل تاريخا مشتركا ولغة، وعادات وتقاليد وتطلعات مستقبلية لشخص ما، أو لمجموعة بشرية معينة وهذا ما يتضح لنا من خلال هذا القول: «الهويّة الثقافية هي مجموع المقومات والعناصر الثقافية التي تسمح بالتعرف على الانتماء الثقافي لشخص ما أو لمجموعة بشرية معينة...»[(2)].

[(1)]. بول ريكور، المرجع السابق، ص: 294.

[(2)].عبد الرزاق الدّاوي، في الثقافة والخطاب، عن حرب الثقافة والخطاب، (حوار الهويات الوطنية في زمن العولمة)، إعداد المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، ط1، 2013، ص: 154.

يُشير هذا الطرح إلى أن "الهوية الثقافية" هي صورة مثالية تكونها مجموعة بشرية معينة عن نفسها، مقارنة بمجموعات أخرى، بحيث تسمح لها بالتعرف على الانتماء الثقافي لشخص ما، وذلك خلال مجموع المقوّمات والعناصر الثقافية التي تميّزه عن غيره، وهذه الأخير هي الوسيلة الوحيدة التي تسمح بنمو الذات وتفتحها على العالم الخارجي محافظة على عادات المجتمع وتقاليده وأصالته.

الفصل الأول:

تمثلات الأنا والآخر في الرواية العربية

1- تمثلات ثنائية الشرق/ الغرب.

2- تمثلات ثنائية الذكورة/ الأنوثة.

3- تمثلات ثنائية المسيحة/ الإسلام

*** تمهيد**

لقد اتجهت الرواية العربية إلى طرح العديد من الأفكار والمضامين والرؤى في ثنايا بنيتها النصية، ومن التيمات التي استأثرت بمعالجتها، وتقديم جملة من التصورات والتنميطات الخاصة بها: الأنا والآخر، والتي سجلت حضورا ملحوظا بشتى ثنائياتها: الشرق، الغرب/ الذكورة، الأنوثة/ التقدم، التأخر/ العلم، الجهل/ المادة، الروح/ الإسلام، المسيحية...إلخ.

وقبل الولوج إلى أعطاف المتون الروائية العربية، للكشف عن تمثلات ثنائية الأنا والآخر، وإبراز وجوهها ومستويات تجلياتها، سنحاول الوقوف أولا عند حدود الرواية اصطلاحا، فما المقصود بها يا ترى؟

من الصعب إيجاد تعريف أو مفهوم شامل وجامع للرواية كفن أو نوع أدبي، ولكن رغم ذلك تتيح لنا بعض الاجتهادات البحثية فرصة رسم حدود مفهوماتية لهذا المصطلح على النحو الآتي:

يذهب "**ميخائيل باختينMikhail Bakhtine**" في تعريفه للرواية إلى حد قوله: «الرواية فن نثري، تخييلي طويل نسبيا وهو فن بسبب طوله، يعكس عالما من الأحداث والعلاقات الواسعة والمغامرات المثيرة والغامضة أيضا، وفي الرواية تكمن ثقافات إنسانية وأدبية مختلفة، ذلك أن الرواية تسمح بأن تدخل إلى كيانها جميع الأجناس التعبيرية، سواء كانت أدبية (قصة، أشعار، قصائد، مقاطع كوميدية) أو غير أدبية دراسات عن السلوكيات، نصوص بلاغية وعلميةودينية».[(1)]

نفهم من قول "**باختين**" أن الرواية هي فن من الفنون النثرية التخييلية الطويلة نسبيا، إنها عالم من العلاقات والمغامرات المتعددة الأطراف، وبنية نصية متكاملة تمتاز بالمرونة والانفتاح على شتى الأنواع والفنون، إنها بتعبير آخرنوع أدبي غير مستقر بذاته، وغير مكتمل يستدعي الخيال والوصف والحوار والصراع بين الشخصيات الروائية.

[(1)]. آمنة يوسف، تقنيات السرد في النظرية والتطبيق، دار الحوار للنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1997، ص:21، نقلا عن: ميخائيل باختين، الخطاب الروائي، ص: 11.

والرواية عند "ميشال بوتور Michel Butor" هي: «شكل من أشكال القصة.والقصة ظاهرةتتجاوز حقل الأدب تجاوزا كبيرا، فهي إحدى المقومات الأساسية لإدراكنا الحقيقة. فنحن منحين نبدأ أن نفهم الكلام حتى موتنامحاطون بالقصص دون انقطاع، في الأسرة أولا، ثم في المدرسة، ثم من خلال اللقاءات والمطالعات... »[1]، وتبعا لهذا الطرح، فإن الرواية هي التعبير عن الأحداث المروية من خلال شخصيات متفاعلة مع الأحداث والوسط أو البيئة، مع الإشارة إلى أنها لا تنطبق على الناس فقط، بل على الأشياء والأماكن أيضا، إنها سلسلة أحداث تسرد بأسلوب نثري طويل، وتصف شخصيات خيالية أو واقعية.

ويرى الناقد الجزائري "**عبد الملك مرتاض**" في كتابه الشهير: "**في نظرية الرواية، بحث في تقنيات السرد**" أن الرواية ذات وجه حربائي، إنها«تتخذ... لنفسها ألف وجه، وترتدي في هيئتها ألف رداء، وتتشكل أمام القارئ، تحت ألف شكل، مما يعسر تعريفها تعريفا جامعا مانعا»[2].

أما فيما يتعلق بالضبط المفهوماتي لهذا المصطلح، فإننا نجده يقول: «هي جنس أدبي راق، ذات بنية شديدة التعقيد، متراكبة التشكيل، تتلاحم فيما بينها وتتضافر لتشكل لدى نهاية المطاف، شكلا أدبيا جميلا، يعزى إلى هذا الجنس الحظي، والأدب السري. فاللغة هي مادته الأولى كمادة كل جنس أدبي آخر، والخيال هو الماء الكريم الذي يسقي هذه اللغة، فتنمو وتربو وتمرع وتخصب. والتقنيات لا تعدو كونها أدوات لعجن هذه اللغة المشبعة بالخيال ثم تشكيلها على نحو معين»[3].

يشي هذا التعريف بأن الرواية هي فن نثري أدبي جميل، ذو مكانة مرموقة، يحمل على عاتقه مهمة التوفيق بين شغف الإنسان بالحقيقة، وحنينه الدائم إلى الخيال الجامح،

[1]. ميشال بوتور، بحوث في الرواية الجديدة، تر: فريد أنطونيوس، منشورات عويدات، بيروت- باريس، ط3، 1986، ص:5.

[2]. عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية، بحث في تقنيات السرد، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، (د ط)، 1998، ص: 11.

[3]. المرجع نفسه، ص: 27.

والرغبة في امتطاء صهوته، إنها بنية نصية شديدة التعقيد، تتضافر كوكبة من العناصر في تشكيل صرحها، وعلى رأسها اللغة الأدبية المشبعة بمياه الخيال الدافق.

كما تعددت آراء الباحثين حول مفهوم الرواية، وتنوعت من باحث إلى آخر، إذ نجدالفيلسوف "**هيجل Higel**" أول من حسم في إعدادنظرية نقدية للرواية، ويؤكد أحد الباحثين على هذا الأمر قائلا:«لقد كان هاجس هيجل هو البحث في الخصائصالنوعية للشكل الروائي في علاقته بالشكل الملحمي البائد وبالمجتمع البرجوازي الحديث... يعود إلى التاريخ عندما يربط ظهور الرواية بتطور المجتمع البرجوازي، ثم يعود إلىعلم الجمال في مقابلته بين السمات الفنية للرواية ... وسرعان ما تنتهي هذه الخطة بهيجل إلى إقامة تعارض بين الشعر والنثر وإعلانه لفرضيته الشهيرة حول شعرية القلب التي تطبع الملحمة ونثرية العلاقات الإنسانية التي تعبر عنها الرواية »[1].

من خلال التعريفات السابقة نصل إلى أن الرواية جنس أدبي نثري يطرح لنا السارد من خلالها جميع انشغالاته، معبرا عن التصورات الإنسانية والإيديولوجية، والحضارية، والعقائدية،....إلى غير ذلك.

ويجدر بنا أن نشير في هذا المقام إلى أن مسألة الأنا والآخر لم تطرح في آدابنا الحديثة والمعاصرة، إلا في أواسط القرن 19عشر، وذلك جراء الموجة الاستعمارية التي اجتاحت أقطار ودويلات العالم العربي الإسلامي، لبسط الهيمنة والنفوذ على أراضيها، سياسيا واقتصاديا، واجتماعيا، وحضاريا، ومن هنا أثيرت إشكالية الشرق والغرب في بعض المتون الروائية.

وإذ كانت الرواية العربية قد التفتت إلى موضوع الذات والغير أو الأنا والآخر، فكيف شخصت هذه الجدلية؟ وماهي التمثلات أوالتمظهرات التي جسدتها يا ترى؟

إننا لن نجانب الصواب إذا قلنا أنه من طلائع الروايات التي طرحت ثنائية الأنا والآخر، وتمثلت خصوصيتها رواية: "**عصفور من الشرق لتوفيق الحكيم**"، والتي استطاعت في

[1]. حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، (الفضاء، الزمن، الشخصية)، لمركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1990، ص: 05.

وقت مبكر استيعاب الجدلية القائمة بين ثنائية الشرق/ الغرب، محددة طرفي المعادلة، الأنا المتمثلة في الذات العربية/ الشرقية، والآخر المجسد في الأوروبي أو الغرب بصفة عامة.

ويمكن القول أننا عبر هذه البوابة بالذات، سنعمل على الولوج إلى ثنائية الشرق والغرب في الرواية العربية، والتي أصبحت تشغل فكر كل روائي عربي، بل إن معظم متون الروائيين العرب غدت مسكونة بهاجس هذه الثنائية، والتي عمدت إلى معالجتها باعتبارها علاقة صراع قائم بين الأنا "الشرق" والآخر "الغرب".

1- تمثلات ثنائية الشرق/ الغرب:

1-1- مفهوم الشرق والغرب:

أ- حضارة الشرق(الأنا):

إن الشرق والغرب مصطلحان متقابلان ومتلازمان في الحضور، ومتناقضان في المعنى، لم يظهرا إلا حديثا،وعلى هذا النحو «حري بنا أن نتجه بأبصارنا أيضا إلى الشرق. ذلك أن واقع أحداث التاريخ يؤكدأن بندول التفوق الحضاري في حركة تبادلية دائمة شرقا وغربا، وتؤكد جميع رهنات الفكرية على الصعيد العالمي الآن أن الشرق، الشرق الأقصى وجنوب آسيا، على طريقة صعود. ولقد كان الشرق أقصاه وأدناه قديما، مهد حضارة أو حضارات تعلمت منها البشرية وحققت على هديها إنجازات، وارتقت بفضلها سلم التقدم والتفوق، واستطاعت أن يطرد وجودها وتبني مواقعها على نحو أفضل»(1).

يرتبط مفهوم الشرق -حسب هذا الرأي- بمهد الحضارات قديما وحديثا،إذ ارتقت في إطاره الحضارات البشرية الأخرى،التي استطاعت أن تحققإنجازات معتبرة، متجهة نحو التقدم والتفوق.

---

(1). شوقي جلال، من وحي الشرق، إصدارات المجلة العربية، الرياض، ط1، 2013، ص:83.

وقد ورد مصطلح الشرق في القرآن الكريم بمعنى المشرق، وذلك في قوله تعالى: ﴿ لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾[1]، وكذا قوله جلّ شأنه وعلا: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [2].

ب- حضارة الغرب (الآخر)

على غرار كلمة الشرق، حملت لفظة الغرب أيضا عدة تحديدات ومفاهيم متنوعة ومتباينة، فالغرب يقصد به مجموعة الدول الأوروبية وغيرها، فمن الناحية الحضارية: «تقول حكمة صينية "إذا لم تقارن فأنت لا تعرف" سبيلنا لكي نفهم ونعرف أنفسنا على نحو أفضل... ذلك أننا جميعا يضمنا سياق كوكب واحد متفاعل ومتبادل التأثير، وأن نقارن ونسلط الأضواء على حضارات وتاريخ وثقافات ووقع الشعوب.ونحن بحاجة- توخيا لشمول النظرة وتعدد أبعادها وزواياها- إلى أن نتخلص من إسار النظرة إلى الغرب وحده، وزعمه، من منطلق المحورية الغربية أنه الحضارة، والتقدم، والإبداع، عنده ومعه نهاية التاريخ»[3].

وبناء على ذلك، فإن الحضارة الغربية لا يمكن أن نتمثلها في كل المجتمعات، لأن مركزها الأساسي هو التقدم وتقديس المادة، وهدفها الجوهري هو السيطرة على العالم، إنها حضارة السرعة والتكنولوجيا والمناورة بالمعلومة.

كما أن هذه الحضارة الغربية لها إيجابيات وسلبيات، وقد بدت النتيجة واضحة، ذلك أن هذه الأخيرة، والتي تعرف بقوتها وهيمنتها وبتنويرها العلمي وتقدمها الثقافي وبمستواها المادي المرموق، وبمكتسباتها العلمية والتكنولوجية الهائلة، تكاد تذهب كل هذا البريق بموجاتها الاستعمارية وقتلها ونهبها لثروات المستضعفين، وهذا وجه من وجوه التخلف حسب رأيه الشخصي.

---

(1). سورة البقرة، الآية: 177.

(2). سورة المعارج، الآية: 40.

(3). شوقي جلال، من وحي الشرق، ص:83..

ج- علاقة الشرق بالغرب:

إن العلاقة بين الحضارتين الشرقية والغربية هي علاقة كره واشمئزاز وبغض، وتنافر متبادلة، فالصراع القائم بين الطرفين ضارب في القدم، ومتعدد الوجوه والأساليب والطرائق، خاصة في ظل اعتماد الغرب على سياسة الغدر في تعامله مع الشرق، فالعلاقة بينهما شائكة ومتشابكة، وذلك لانعدام الحوار السياسي الفعال المبني على التسامح والاحترام، ومن هنا يظل الغرب بالنسبة للشرق العدو الذي يجب الحذر منه، ويذهب كاتب آخر بخصوص هذا الشأن: «هناك حقائق عدة تحكم العلاقة بين المسلمين والغرب، وليس كما يقال عادة بين الإسلام والغرب. ولابد من وضع هذه الحقائق في الحسبان عند اعتبار هذه العلاقة... لئلا يكون صدام حضارات: الطريق الثالث بين الإسلام والغرب»[1].

يحيل هذا التعريف إلى أن العلاقة بين الحضارتين(الإسلامية الشرقية، والغربية) هي علاقة تنافر وتباعد، وصراع دائم وقائم على عدم وجود حوار سياسي فعال، يهدف إلى وجود عدة حقائق تحكمهما، فلا بد من إيجاد حوار سياسي فعال يرمي إلى التعايش والتسامح بينهما.

وقد جرى تداول مصطلحي الشرق والغرب في صورتهما التقابلية، إذ «شاع على الألسنة مقابلة الشرق بالغرب. فيقولون مثلا الشرق شرق والغرب غرب: وقديما استخدموا هاتين الكلمتين متقابلتين، فالمؤرخون يقولون تاريخ الشرق وتاريخ الغرب، والفلاسفة يقولون مثلا:إنه قد اجتمع في الإسكندرية إلهام الشرق ومادية الغرب، إلى غير ذلك من مختلف التعابير...الواقع أن الشرق والغرب من الكلمات العامة التي إذا أريد تحليلها عزت على التحليل ... من الباحثين منأرجع الفرق بينهما إلى المعنى الجغرافي...»[2].

---

[1]. علي بن إبراهيم النملة، الشرق والغرب، منطلقات العلاقات ومحدداتها، بيسان للنشر والتوزيع والإعلام، بيروت، لبنان، ط1، 2010، ص: 21.

[2]. أحمد أمين، الشرق والغرب، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، (د ط)، 1955، ص: 07.

وبناء على ما سبق، فإنه يمكن القول بأن العلاقة بين الشرق والغرب هي علاقة صراع بين الأنا والآخر، على أنها تستمر دائما كعلاقة التابع بالمتبوع، وتنتهي بعلاقة الغالب بالمغلوب، وهو ما يجعل منها علاقة صراع أبدية لا نهاية لها.

1-2- تمثلات الشرق والغرب في رواية "عصفور من الشرق لتوفيق الحكيم":

تعتبر رواية "**عصفور من الشرق**" من أوائل الروايات التي تناولت ثنائية الشرق والغرب، والتي طرحها "**توفيق الحكيم**" انطلاقا من الخصائص التي ينماز بها كل طرف من أطراف هذه الجدلية، فالشرق روحاني، أما الغرب فتطغى عليه المادة.

وتروي لناهذه الرواية قصة شاب عربي حالم اسمه (محسن)، انطلق من بلاد الشرق (مصر)، متجها إلى بلاد الغرب (باريس)، لمواصلة تحصيله العلمي، ولكنه صدم وشعر بحيرة غامضة، عندما وطئت أقدامه أرض مدينة الأنوار(باريس)، وهناك مر بتجربة حب فاشلة، راح يسرد لنا بعض تفاصيلها، وكل ما مر به في تلك المرحلة من حياته، فمحسن يكشف لناعن طبيعة علاقته بصديقه الفرنسي أندريه، والعائلة التي قطن في منزلها، وحجم المعاناة والشقاء الذي عايشته تلك العائلة[1].

الحقيقة أن فكرة الرواية العميقة، إنما تتلخص في ذلك الصراع الأزلي بين الشرق والغرب، والحداثة والأصالة، والعلم والإيمان، حيث تناولت تلك الآثار السلبية التي خلفتها الثورة الصناعية، وكيف أنها حولت الإنسان إلى جسد خاو لا يحتوي على ذرة مشاعر، ومن خلال ذلك أثار "**الحكيم**" حيث يات الصراع بين الشرق والغرب، من حيث العادات والتقاليد وطريقة التفكير، وتقدير قيمة الوقت وأهميته، يقول مثلا: «لا !حقيقة لا !، أني لا أستطيع أن أنفق عمري جالسا هكذا... إن الزمن من الشيء الذي لا تعرفونه أنتم معشر الشرقيين ولا يعنيكم أمره»[(2)].

وبعودتنا إلى متن هذه الرواية، نجد أن الراوي قام بعقد مقارنة بين الشرق والغرب، من خلال حوار أجراه محسن مع صديقه الروسي إيفانوفيتش، فالأول يرى الجنة

[(1)]. توفيق الحكيم، عصفور من الشرق، دار مصر للطباعة، مصر، (د ط)، (د.س).

[(2)]. المرجع نفسه، ص: 63.

في الغرب، ويحاول الابتعاد عن كل قيود الشرق، بينما يرى صديقه أن الشرق هو الجنة، وأن أنبياء الشرق استطاعوا أن يوازنوا بين الدنيا والآخرة، فمن لم يجد حظه من الدنيا ومتاعها، كان له نصيب من الآخرة: «إن أنبياء الشرق قد فهموا أن المساواة لا يمكن أن تقوم على هذه الأرض، وأنهم ليس في مقدورهم تقسيم مملكة الأرض بين الأغنياء والفقراء، فأدخلوا في القسمة مملكة السماء»[1].

أما أنبياء الغرب، فلم ينتبهوا إلى ذلك، وأوقعوا تلك المجتمعات في صراع طبقي حاد، يتهافت فيه الأصحاب تهافتا حادا، يقول السارد: «جاء نبينا (كارل ماركس)، ومعه إنجيله الأرضي، (رأس المال) وأراد أن يحقق العدل على هذه الأرض، فقسم الأرض وحدها بين الناس ونسي السماء فماذا حدث»[2].

ومما تقدم، نستطيع القول أن رواية "**عصفور من الشرق**" تشكل مرحلة التأسيس للروايات التي عالجت ثنائية الأنا (الذات) والآخر، إذ أنها تعتبر بمثابة نقطة الانطلاق في تناول هذا الموضوع، أين عمدت إلى التطرق إليه من باب المقابلة بين طرفي المعادلة، فالشرق متخلف وتقليدي، أما الغرب فمتحضر ومتفوق.

ونظرا للتأثر بالآخر (الغرب) التي رأتها الذات (الأنا) في تلك الفترة، فإن "توفيق الحكيم" لم يغفل عن هذا الجانب، بل دعا من خلال روايته إلى التمسك بمبادئ الذات(الأنا)، وتجنب التماهي في الآخر الذي بالغت الذات في تمجيده، وهو ما نراه في هذه المقاطع السردية:

«وإنك قد تستطيع اليوم أن تقتلع من رأس الشرقي عظمة السماء... ولا تستطيع مطلقا أن تقتلع منه عظمة «العلم الأوربي الحديث»، وإنه لمن اليسير أن تسفه عند الشرق «رسالة الأنبياء»، ولا يمكن أن تسفه لديه «رسالة» القوة المادية الحديثة!»[3]. ويشير هذا الطرح على أن الذات الشرقية مهما بلغت أقصى درجات التحرر إلا أنها بقيت متمسكة بمبادئ الشرق ومتجنبة التماهي في الآخر.

---

(1). توفيق الحكيم، المرجع السابق، ص: 86، 87.

(2). المرجع نفسه، ص: 87

(3). المرجع نفسه، ص: 190، 191.

«نعم، اليوم لا يوجد شرق!... إنما هي غابة على أشجارها قردة، تلبس زي الغرب، على غير نظام ولا ترتيب ولا فهم ولا إدراك»[1].

نستخلص من خلال هذا التعريف أن مادية الغرب ينجم عنها طمس لهوية وروحانية الذات الشرقية، مما قد ينجر عنه تقليد أعمى، وتماهي كلي معها، وهنا بالضبط يحدث انفصام وانشقاق حاد لدى هذه الذات.

ومن خلال ما تقدم، نجد أن هذه الرواية تتخذ من ثنائية الشرق والغرب كركيزة أساسية تقوم عليها، لذلك كانت ظروف التلاقي بينهما – أي الشرق والغرب – عنيفة تارة، ومسالمة تارة أخرى، وذلك بتبنيها لأهم القضايا الشائكة في العصر الحديث؛ ألا وهي مسألة الصراع الحضاري، والتي كانت وليدة العلاقة المتطورة بين الشرق والغرب.

2- تمثلات ثنائية الذكورة/الأنوثة:

2-1- مفهوم الذكورة والأنوثة:

يكثر الجدل اليوم حول مفهوم الذكورة والأنوثة في مختلف الدراسات، وعلى شتى الميادين والأصعدة، فهما لا يقتصران فقط على الفوارق البيولوجية والجنسية، ذلك أن الجنس البيولوجي يحدد الأفراد بناء على تشريحهم التناسلي في الذكور والإناث، فهي قيم وسلوكيات يحددها المجتمع من وجهة نظره فقط، لطالما كان الرجل هو الركيزة الأساسية في المجتمع، لتليه الأنثى في درجة دنيا. ويبدو أن هذه المشكلة قديمة تعود إلى ما قبل الإسلام، وعادة ما يفضل الولد الذكر على البنت الأنثى، كما أشار إلى ذلك القرآن الكريم في سورة النحل في قوله عز وجل: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلۡأُنثَىٰ ظَلَّ وَجۡهُهُۥ مُسۡوَدّٗا وَهُوَ كَظِيمٞ ٥٨﴾[2].

(1). توفيق الحكيم، المرجع السابق، ص: 191.

(2). سورة النحل، الآيتان: 58، 59.

هكذا إذن، نجد أن قضية سطوة المجتمع الذكوري مهيمنة منذ القدم، لأن المجتمعات تضعنا أمام تمييز عنصري يميل إلى تغليب مكانة الولد على الأنثى، لأن البنت في نظرهم تجلب العار والفقر لأهلها، ولذلك لا يدخرون جهدا في محاولة التخلص منها.

ومن هذا المنطلق، أمكننا طرح الإشكال الآتي:ما المقصود بالذكورة والأنوثة في الفكر العربي؟ أو بتعبير أكثر تفصيلا: ما معنى الذكورة؟ وما معنى الأنوثة يا ترى؟

أ- مفهوم الذكورة:

لقد تعددت تعريفات الذكورة، فهي تحيل على: العنف، والقوة، والجرأة، والسيادة، فالذكورة هي مجموعة الصفات الخاصة بجنس الذكر خلافا للأنثى، فإذا كانت الذكورة مصطلحا يقابله مصطلح الأنوثة، فكلاهما مصطلح إشكالي إلى حد بعيد، كما أنهما مفهومان متوازيان ومتعارضان في آن واحد.

والذكورة كما ورد في "**المنجد**" هي: «مجموع الصفات الخاصة بجنس الذكورة خلاف الأنوثة»[1]؛ وهذا يعني أن الذكورة مختلفة تماما عن الأنوثة في كل شيء، وتعرف الباحثة **سارة جامبل** الذكورة، فترى أنها: «مثل الأنوثة مصطلح شكلي إلى حد بعيد، فهما مفهومان متوازيان ومتعارضان في آن واحد. ويعبر كلا المصطلحين عن التعقيدات الموجودة في التفكير بشأن آليات العلاقة بين الجنسين... والذكورة حسب التعريف الذي يرى أنها مجموعة الخصائص المميزة للرجال، تستند إلى الحتمية البيولوجية البسيطة وتؤكد على الاختلافات البيولوجية الجوهرية بين الجنسين»[2].

ويذهب **عبد الله الغذامي** إلى: «أن للرجل لغة مفتوحة وغير محدودة لكنه لا يسمح للمرأة إلا بجزء من هذه اللغة »[3]، ووقوفا عند هذا الرأي، يمكننا أننستنتج أن الذكورة هي اللفظ الذي يطلق على الرجال بغية الهيمنة والسيطرة على الإناث، ومن هنا يتبين لنا

---

(1). أنطوان نعمة وآخرون، المنجد في اللغة العربية المعاصرة، ص: 510.

(2). سارة جامبل، النسوية وما بعد النسوية، دراسات ومعجم نقدي، تر: أحمد الشامي، المجلس الأعلى للثقافة، مصر، ط1، (د س)، ص: 404.

(3). عبد الله محمد الغذامي، ثقافة الوهم، مقاربات حول المرأة والجسد واللغة، ص: 56.

أن المرأة محجوبة عن جزء كبير من هذه اللغة، لأن هذا الأخير يتصف بالصعوبة والتعسف، كما يحيل هذا الطرح أيضا على الخصائص النمطية الخاصة بالرجال.

ب- مفهوم الأنوثة:

يرتبط مفهوم الأنوثة العميق والقوي بشخصية المرأة، فالمجتمع يربطها بالمظهر الخارجي، معتبرا إياها ذلك الكائن البشري رقيق المشاعر، حنون العواطف، ذو الإحساس المرهف، الذي خلقه الله عز وجل في أحسن تقويم، وهذا ما أثبته "**ابن منظور**" على مستوى معجمه قائلا: «الأنثى خلاف الذكر من كل شيء، والجمع إناث، وأنث: جمع إناث كحمار وحمر، وإن المرأة سميت أنثى، من البلد الأنيث: قال: لأن المرأة ألين من الرجل وسميت أنثى»[1]، فالأنثى-من هذا المنظور- هي الكينونة الأكثر رقيا وتحضرا على المستوى الروحي العميق، فطبعها لين وحنون، خلقت من ضلع أعوج، وهذا أحد دوافع ضعفها.

وجاء في المعجم الوسيط: «الأنثى خلاف الذكر من كل شيء، وامرأة أنثى كاملة الأنوثة جمع إناث وأناثي»[2]، وهذا من شأنه التأكيد على أن الأنوثة تنتمي إلى جنس المؤنث، حيث تنحصر في وعاء للإنجاب.

ولقد اختلف الكثير من النقاد في وضع مفهوم شامل وجامع للأنوثة، حيث نجد **سارة جامبل** تعرف الأنوثة على أنها: «مجموعة من القواعد التي تحكم سلوك المرأة ومظهرها وغاية القصد منها جعل المرأة تتمثل لتصورات الرجل عند الجاذبية الجنسية المثالية»[3]، والمقصود بذلك أن الأنوثة لا تتمثل في المظهر الخارجي فقط، بل هي عبارة عن إحساس داخلي ينبع منه الاستقرار العاطفي.

(1). ابن منظور، لسان العرب، مج1، مادة (أنث)، ص: 168.

(2). المرجع نفسه، ص: 168.

(3). سارة جامبل، النسوية وما بعد النسوية، دراسات ومعجم نقدي، ص: 377.

ويقدم "**عبد الله الغذامي**" تصوره لمصطلح الأنوثة، إذ يرى أن: «التأنيث هو مجموعة صفات وحالات، إذا تمثلها الجسد النسوي فهو مؤنث، وإلا فهو خارج الأنوثة، ومن هنا يكون التأنيث مفهوما ثقافيا وتصورا ذهنيا وليس قيمة طبيعية جوهرية»[(1)].

نستنتج من كل هذه التعريفات أن الأنوثة لا تقتصر على المظهر الخارجي والسلوك، بل إنها قوة الترابط التي تعين نسق التنظيم الذاتي للكائن البشري.

2-2. تمثلات ثنائية الذكورة والأنوثة في رواية "بلقيس لعلاوة كوسة":

إن رواية "**بلقيس**" للكاتب "**علاوة كوسة**" تجعل القارئ عند قراءته لها، وكأنه يعيش نوعا من المتعة خلال ملامسته لكل صفحة من صفحاتها، حيث تجعله متشوقا لقراءة مؤلفات هذا الكاتب الجزائري، وتجسد لنا هذه الرواية ثنائية "الذكورة والأنوثة"، من خلال مزجها بين الشعر والنثر، أين جعل الكاتب الأنثى تحظى بمنزلة تسمو بكل مشاعر الحب والتقدير، فقد اختزل الكون كله فيها، والدليل على ذلك هو سيطرة جنس الخطاب المؤنث في المتن النصي على حساب الخطاب المذكر، والذي جسدته شخصية "خليل"، وهو بطل الرواية، حيث خرج السارد هنا عن مبادئ احتقار الرجل للمرأة، فهو الذي يتسبب في تعاستها وحزنها وآلامها، وهذا ما جسدته لنا شخصية "بلقيس"، وفي ثنايا السرد تتكشف لنا طبيعة الصراع الموجود بين الطرفين(الأنثى/ الذكر)، حيث كان سبب هذا الصراع هو "خليل"، الذي فضل أن يكون دائما خصما للمرأة.

وقد عمل "**علاوة كوسة**" في هذا المنجز الروائي على تجسيد العلاقة العاطفية بين بطلي الرواية (بلقيس/ خليل)، حيث تميزت هذه العلاقة بمبدأ الغياب الذي مثلته شخصية "خليل"، وفي المقابل نجد مبدأ الحضور وعدم الاستسلام، والذي مثلته بطلة الرواية" بلقيس" التي كانت تنتظر دائما لقاءه ومجيئه بلهف، "فبلقيس" مثلت في الواقع دور المرأة المتحدية والمضحية من أجل الرجل؛ المرأة التي تشكل عمود كل علاقة مهما اختلف نوعها، أما "خليل" فقد صور من خلاله السارد دور الرجل المهمل، المسبب في حزن المرأة، فقد كان في كل مرة يغيب ويغادر فجأة، دون أن يعير أدنى اهتمام "لبلقيس" لحزنها

[(1)]. عبد الله محمد الغذامي، ثقافة الوهم، مقاربات حول المرأة والجسد واللغة، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1988، ص: 57.

على فراقه، وقد أثبت السارد هذا من خلال بعض الخطابات التي دارت بين "البطلة والبطل"، ومن هنا فقد كان تركيزنا في هذه الرواية على ثنائية (الذكورة /الأنثوثة) ، التي مثلها كل من (خليل/بلقيس)، ومن هنا نصل إلى أن بطلة الرواية قد مثلت دور المرأة الفاشلة في الحياة، لأنها علقت كل لذة في الحياة بالرجل، كما كانت ترى أن صورة الحياة المثلى لن تكون إلا في عيون حبيبها "خليل"، ولذلك فقد ربطت سعادتها بوجوده فقط، على الرغم من أن لذة حياة المرأة لا تقتصر فقط على وجود رجل في حياتها، لأنه كان كلما حاول أن يعيش قصة حب معها، تذكر ماضيه المؤلم، وعلاقته السابقة التي باءت بالفشل .

لقد حملت رواية "**بلقيس**" في ثنايا تشكيلها السردي علاقة الخصومة والاختلاف بين الرجل والمرأة؛ وهذه العلاقة لم تنقطع يوما على مر العصور، خاصة ونحن ندرك أن شخص الرجل في محاولة دائمة لإقصاء وتهميش، بل ومحو هوية المرأة أحيانا، لتنتقل العلاقة بذلك إلى مرحلة الصراع الجدلي، ليصبح بذلك غاية كل منهما فرض شخصيته أمام الآخر، ورواية "**بلقيس**" صورت عدة مشاهد لمثل هذا التخاصم، فالبطلين "خليل وبلقيس" على علاقة عاطفية، تتسم بالحضور تارة وبالغياب تارة أخرى، إذ أن الحضور يتعلق "ببلقيس" التي كانت دائما على حريصة على استمرار هذه العلاقة وتعزيزها، وهذا ما يتضح من خلال قول السارد:« بدايات العشق شهوة... وصحو للأعماق... ولكن بدايات العشق أيضا... تيه... وهروب إلى الأنا ...»[1]، في مقابل غياب الرجل الحبيب "خليل"، الذي كان يمعن في هذا الغياب، وبشكل مفاجئ، بل دون علة أو تبرير:« في لحظة ما- الدليل يشرح ويعرف- تذكرتك يا خليل... فرحت أستجدي وجهك في وجوه الحاضرين... وأحسست بعمق وبصدق بأنني محتاجة جدا إلى وجودك معي...»[2].

ف "بلقيس" كانت تعيش حالة تأملية تستحضر فيها صورة حبيبها في كل وجه يصادفها، فهي تبحث عنه هنا وهناك، لكننا نلمس في ثنايا الخطابات التي قدمها(الآخر) "خليل" مبررا على غيابه، وتردده في إفشاء حبه اتجاه "بلقيس" (الأنا)، إذ نجده يقول: «... بلقيس... أعياك السؤال لأيام وكبلتك الحيرة كما لم يسبق لها ذلك... الجسد يلحد إلى

[1]. كوسة علاوة، بلقيس (بكائية آخر الليل!!!)، دار الإمارات العربية للنشر، الإمارات العربية المتحدة، ط 1، 2012، ص: 89.

[2]. المرجع نفسه، ص: 96.

النحافة ... العينان أغار عليهما... آه لا تلد الجراح إلا الجراح...» [1]، فهناك تصريح واضح من(الآخر) "خليل" أنه يحب (الأنا) "بلقيس"، ويغار عليها، لكنه يخفي هذا الحب خوفا من فشل هذه العلاقة العاطفية مرة أخرى.

وفي نهاية الرواية نقف عند انفراط عقد العلاقة العاطفية بين العاشقين، ذلك أن "خليل" رحل عن حياة "بلقيس" فجأة ودون سابق ميعاد وبشكل نهائي، لتخيب آمالها:«تساءل بعضهم عن غيابك... وحضرت في ذاكرتي اليوم كله... غياب الذين نحبهم يجعل كل ما يتعلق بهم عزيز علينا...» [2]، لقد باتت "بلقيس" ضريرة عشق هذا الحبيب الغائب الحاضر، ويأتينا التأكيد على لسانها، إذ تقول:« كل ما حولي... كان أبيض... كوجه الغياب الذي لم تخط عليه دموع الفراق سطرا أو سطرين لأعرف سر الغياب»[3].

3- تمثلات ثنائية المسيحية/ الإسلام ("كتاب الأمير، مسالك أبواب الحديد لواسيني الأعرج)

إن ثنائية الذات المسلمة والآخر المسيحي تعد مسألة جدل قائم منذ بزوغ التاريخ، حيث تقوم كل ديانة على شرائع وتعاليم معينة، فقد أثبتالتاريخ الإنساني أن المسلمين اشتبكوا « مع المسيحيين في معارك كثيرة، ومن أهم المناطق التي التحم فيها الصراع عسكريا، فكريا، إسبانيا، التي أطلق عليها المسلمون (الأندلس)»[4].

ومن الروايات التي عالجت ثنائية: (الإسلام/ المسيحية) رواية "**واسيني الأعرج**" الموسومة ب: "**كتاب الأمير، مسالك أبواب الحديد**"، حيث حاول الروائي أن يسرد لنا الدورالتاريخي الذي قام به "الأمير عبد القادر الجزائري" في دفاعه عن الجزائر أمام الاستعمار الفرنسي، وذلك من خلال استدعائه لمراحل حياته ومقاومته من البيعة إلى

(1).علاوة كوسة، المرجع السابق، ص: 162.

(2).المرجع نفسه، ص:161.

(3).المرجع نفسه، ص:162.

(4). محمد شامة، بين الإسلام والمسيحية، كتاب أبي عبيدة الخزرجي، مكتبة وهبة، عابدين الإسكندرية، مصر، (د ط، د س)، ص: 07.

المنفى، وتبعا لذلك نؤكد –منذ البداية- على وجود علاقة قائمة بين (الأنا) الأمير عبد القادر (والآخر) الذي يمثله (جيش الاحتلال الفرنسي) تارة، والقس (مونسينيور ديبوش) تارة ثانية، هذا الأخير الذي يجسدلنا من خلال وقائع الرواية رمزية التسامح والانفتاح كرجل ديني مسيحي يتواصل مع الأمير من أجل تسوية المشاكل والأوضاع الإنسانية، مثل المساجين والأسرى من الطرفين، أو احترام إبرام الاتفاقيات والالتزامات من الجانب الفرنسي.

وهكذا، فقد لخصت لنا رواية "**الأمير، مسالك أبواب الحديد**" سيرة الأمير عبد القادر وجهوده ونضالاته البطولية من أجل تأسيس الدولة الجزائرية الحديثة، هذا الرجل الذي قام بمواجهةالاستعمار الفرنسي، فكان عقابه النفي لفترة طويلة إلى فرنسا، قبل أن يتم ترحيله إلى المشرق العربي، لتنفيذ عقده مع الحكومة الفرنسية.

وتحاول هذه الرواية –من جهة أخرى- كشف جهود القس الفرنسي "مونسينيور ديبوش" الذي أرسل ذات مرة رسالة إلى الأمير لإطلاق سراح بعض السجناء، وبسبب إجابة الأمير على هذا الطلب، قرر القس أن ينذر حياته لفك قيد الأمير وتحريره من منفاه بسجن أمبواز الذي قضى فيه مدة خمس سنوات أسيرا بها، وإنقاذ شرف فرنسا من تهمة عدم إيفائها بالعهود.

إذن، تفتح الرواية باب الحوار بين الأمير "المسلم" وديبوش "المسيحي" حول قضايا عدة، دون الوقوع في التعصب الديني، كماتعكس مناقشتهما وحواراتهما وخلفياتهما الروحية اشتراكهما في هم واحد؛ ألا وهو النضال من أجل وقف نزيف الدماء، وأنهما على الرغم من اعتناقهما لدينين مختلفين، إلا أنهما ينتميان إلى عقيدة واحدة وهي عقيدة الأخوة والإنسانية.

وفي ثنايا السرد الروائي نجد أحداثا ترصد لنا كل تحولات حياة "الأمير عبد القادر"، خاصة ما اتصل بمسألة قيادة المقاومة ضد الفرنسيين، والمحافظة على الدولة الجزائرية، بعد تحطيم الاستعمار الفرنسي لعاصمتها، كما نلمس -إلى جانب ذلك- طبيعة شخصية "الأمير عبد القادر"، والتي تجعل منه ذلك في الرجل القوي المقاوم، والذي كان كل همه إعادة بناء الدولة الجزائرية من جديد، إلا أن الحظ لم يحالفه، فقد وقفت عدة صعوبات

أمامه واعترضت طريقه،على رأسها قوات الجرارات الحديثة والتقنيات الحربية الجديدة والمتطورة، حينها قرر الاستسلام أمام القوات الفرنسية... وتصور الرواية –فيما بعد- الظلم الذي عاناه "الأمير عبد القادر" في سجون الاستعمار، في انتظار بزوغ شمس التحرر إيذانا بإطلاق سراحه. وفي الأخير نجد "الأمير عبد القادر" قد انبهر بالحضارة الفرنسية، مما جعله يعرف سر تفوقهم علينا.

وتنعكس ثنائية الأنا والآخر –على مستوى هذه الرواية- في كون "الأمير عبد القادر" المناضل العربي الشجاع، والذي نفي وظل في السجن مدة طويلة، بعيدا عن أراضيه ووطنه وشعبه، قد تعرض لمحاولة سلب هويته من قبل الآخر الفرنسي، وجعله غريبا عن أرضه التي تشكل هويته وأصله ووطنه، وهذا ما ذكر في الحوارات التي جرت بينه وبين الكولونيل الفرنسي، والذي بادره مخاطبا: «لم تغيرك فرنسا كثيرا، فهي التي كانت تحلم أن تجعل منك مواطنا من ذويها... »[1].

لقد عانى"الأمير عبد القادر" الكثير من قبل الفرنسيين، حيث أنه تعرض لحملة طمس لغته ودينه وعاداته وتقاليده، ولم يثنه عزمه منالحفاظ على موقفه في عدم تغيير عقيدته وديانته رغم الإغراءات والامتيازات التي قدمت له، ولعل ما يثبت ذلك ما جاء في إحدى الوثائق تاريخية، حيث نسمعه يقول موجها خطابه للفرنسيين: «نحن لا نتحدث لغتكم وليس لنا عاداتكم ولا قوانينكم، ولا دينكم، حتى أن ثياب نسائكم تثير سخرية نسائنا ألا تدركون أن هذا معناه الموت»[2]، فهذه الوثيقة لا تعمل سوى على تأكيد هوية ووطنية "الأمير عبد القادر" وقوته وثباته على رأي الحق.

وفي فضاءات الآخر (سجون فرنسا في قلعة"لا مالق")سعى الروائي إلى تأسيس علاقة ودية بين الأنا (ممثلا في "الأمير عبد القادر")، والذي عانى الأمرين هناك في غياهب السجون الاستعمارية، والآخر الفرنسي"ديبوش " الرجل المسالم الرافض لتصرفات فرنسا الباطشة، فطبيعة العلاقة بين هاتين الشخصيتين تقوم على المودة والاحترام، رغم انتماء كل منهما إلى دين مختلف (الإسلام، نصراني)، مع العلم أن "الأمير" –بدينه السمح

---

[1]. واسيني الأعرج، كتاب الأمير، مسالك أبواب الحديد، منشورات الجمل، بيروت، لبنان، ط1، 2005، ص: 454.

[2]. المرجع نفسه، ص: 464.

ووطنيته المنغرسة في دمه- استطاع أن يؤثر على الآخر (صديقه الفرنسي "ديبوش")، والذي دفع به إلى إعادة النظر في بعض قرارات دولته، ليتخذ موقفا إنسانيا رائدا، لعله تجسد في مساعدته لتحرير بعض الأسرى الموجودين في السجون الفرنسية.

الفصل الثاني

جدلية الأنا والآخر في رواية «في ديسمبر تنتهي كل الأحلام» لـ "أثير عبد الله النشمي"

1- الشرق/ الغرب

2- الأنوثة/ الذكورة

3- المسيحية/ الإسلام

- **تمهيد:**

لقد كان الشعر فيها مضى ديوان العرب وسجل أيّامهم وأخبارهم، لكن تغيرت المعطيات اليوم لتصبح الرواية ديوان الشعوب، بما فيها الشعوب العربية الإسلامية، فقد غدت في وقتنا الحالي الجنس السردي المهين على بقية الأجناس الأدبية الأخرى، خاصة وأنها اتجهت إلى معالجة قضايا اجتماعية وسياسية وثقافية مختلفة، وقد انطلقت الرواية العربية كاسرة كل الحواجز، ملتقطة تفاصيل الواقع العربي بمحاسنهومساوئه، حيث استطاع الروائي وهو مستتر خلف "الأنا" أن يجابه الطغيان السياسي، ويربكه في جرأة منقطعة النظير، فصارت هذه الأخيرة تقترب من قلوب عامة القرّاء، لأنهم كانوا يرونها باسم آمالهم والمكاشف الحقيقي عن أحلامهم، من خلال شخوص الرواية وأبطالها، وفي هذا السياق سنتطرق إلى جدلية الأنا والآخر في رواية "**في ديسمبر تنتهي كل الأحلام**" للكاتبة "**أثير عبد الله النشمي**"، أين سنحاول الوقوف عندها على صعيد مستويات عدة كثنائية الشرق/الغرب، والذكر/الأنثى، والإسلام /المسيحية ...

1. الشرق/الغرب:

إن تقسيم العالم إلى "الشرق" و"الغرب"إنما هو تقسيم سياسي وثقافي، وكثيرا ما يتم التعبير عن هذه الثنائية بمصطلحات مثل "الأنا" و"الآخر"، أو الهوية والاختلاف، وقد تبنت الرواية العربية الحديثة ثنائية (الشرق/الغرب) من خلال الاتصال والاحتكاك الثقافي، الذي جمع الشرق العربي بالحضارة الأوروبية (الغرب)، حيث تروي لنا رواية "**في ديسمبر تنتهي كل الأحلام**" للكاتبة "**أثير عبد الله النشمي**"، تفاصيل وأحداث شاب سعودي له مؤهلات علمية جيدة، كان يعيش في فضاء منفتح، وهذه الرواية هي عبارة عن تجربة ذاتية، يهيمن عليها ضمير "الأنا"، مع العلم بأن الإحاطة بهذا بهذه الثنائية، والتي كان حضورها ضئيلاً نوعا ما بالمقارنة مع غيرها من الثنائيات، لن تكون إلا من خلال الشخصيات الروائية، وبشكل أخص صاحبة الدور المحوري منها.

1-1. الشخصيات:

تعد الشخصية الروائية من أهم المكونات الفنية في العمل الروائي، إنها حسب رأي الناقد الجزائري"**عبد الملك مرتاض**": «هذا العالم الشديد التركيب المتباين التنوع..تتعدد الشخصية الروائية بتعدد الأهواء والمذاهب والإيديولوجيات والثقافات والحضارات...»[(1)]

وهكذا، فإن الشخصية هي التي تلعب دوراً ما، قد تكون أساسيا في العمل الروائي، حيث أنها تتعدد وتتنوع حسب الأهواء والحضارات والميول.

تقوم هذه الرواية في بنائها الداخلي على امتزاج أسلوبي سردي ووصفي رائع، حيث نجد الرّاوي يقطع أحداث الرواية، ليعود بنا إلى حيثيات سبق وقوعها، ليربطها بالحاضر، وقد استعمل الزمن الماضي في روايته من بدايتها حتى نهايتها، وما لجوؤه إلى الحاضر سوى للزج بالقارئ في صلب أحداث القصة، وتظهر شخصيات هذه الرواية على النحو الآتي:

1-1-1. الشخصيات المحورية (الرئيسية):

- **شخصية "هذام العاصم":**

لعل هذه التسمية التي أطلقتها "**أثير عبد الله النمشي**" على شخصية "هذام العاصم"، تحمل كل ما يثبت شرقيته من إخلاص وإيمان، فقد ظهر "هذام" كبشخصية معقدة، إنه شاب سعودي مثقف ذو مميزات ومؤهلات علمية جيدة، حيث يعمل في الصحافة، ويعيش وسط عائلة محافظة، فيصطدم "هذام" بتقاليد المجتمع الذي يعيش فيه، عندما يجد أفكاره الشخصية تتشكل وفق ما تريده الأسرة (عائلته)، إذ يقابل امرأة تدعى "ليلى"، يعجب بها لدرجة كبيرة، وهو لا يدرك حتى بأنها زميلة في العمل، ويظهر هذا من خلال قوله: «كيف أحبها بكل هذا العنفوان من دون أن أعرف عنها شيئاً!...يشتتني أحياناً جهلي باسمها، بعمرها، بمكان مولدها، بعمل تزاوله في الحياة!...»[(2)].

---

(1). عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية، بحث في تقنيات السرد، ص:73.

(2). أثير عبد الله النشمي، في ديسمبر تنتهي كل الأحلام، دار الفرابي، بيروت، لبنان، ط1، 2011، ص: 13.

ويواصل "هذام" سرده لبعض التفاصيل، ليصف لنا شيئا من ملامح المرأة "ليلى" وصفاتها، وقد بين لنا ذلك من خلال العبارة التي أفصح بها: «ملامحها المتغيرة "دوما" لا تشير إلى عمر محدد...في كل مرة أراها فيها...تدهشني ملاحها وكأنني أراها لأول مرة...»(1).

وإذا شئنا تشخيص الحالة النفسية ل"هذام" وجدنا أنه يعيش حالة خوف وضعف، وتوجس من اختفاء محبوبته، بعد أن عثر عليها فجأة، فهاجس مفارقتها يسكنه، ويقض عليه مضجعه، ويجعل منه سجينا في عالم الخيال، يقول "هذام": «لم يخفني شيء بعد أن عرفتها سوى أن أخسرها...أخاف كثيرا من أن تختفي فجأة...أن تعود إلى المجهول مثلما جاءت من حيث لا أدري!»(2).

يترجم لنا هذام بصدق ما يجري في زوايا نفسه، وما يختلج ذهنه من أفكار، فالخوف من فقدان المحبوبة يساوره في كل لحظة، إنه يرفض أن يخسرها فجأة بعد أن عثر عليها صدفة، بل يتمنى أن تبقى شمعة تضيء حياته، وتدخل البهجة إليها، إنها "ليلى" المعشوقة والمرغوب فيها بشدة وبقوة.

- **شخصية ليلى:**

هي الفتاة الصحفية التي أغرم بها "هذام" لأول مرة، إنها زميلته في العمل، وقد أفصح عن ذلك بقوله: «رأيتها تجلس في أحد المقاهي المفتوحة التي كنا نرتادها للقاء...تدخِنْ بهدوء مستفِز، أمامها كوب قهوة، كتابهاتزينهصورةلفولتار...»(3).

فمن خلال قوله ندرك أن "ليلى" كانت تعيش وسط عائلته متفتحة، جعلتها تتقدم في مسيرتها العلمية، على خلاف "هذام" الذي كان يحيا بين أحضان عائلة محافظة، ومن هنا

(1). أثير عبد الله النشمي، المصدر السابق، ص: 14.

(2). المصدر نفسه، ص: 17.

(3).المصدر نفسه، ص: 18.

يمكن أن نلمس التأثير الغربي على شخصية الصحفية "ليلى"، التي كانت متحررة إلى أقصى الحدود، ف "ليلى" كما يراها "هذام": «كانت نابضة بالحياة، لم تكن كأي فتاة»[1].

إنها مختلفة تماما، رافضة لكل القيود والحواجز التي تعيق مسيرتهاالحياتية، لقد ظهرت في صورة فتاة قوية تدعو دائما للدفاع عن حقوق النساء، وبشكل خاص في المملكة العربية السعودية، إنها تتمتع بالجرأة الكافية لخروجها عن تقاليد المجتمع وعاداته وقوانينه الصارمة، أما "هذام" فيتواجد في ضفة مختلفة، لقد اصطدم بتقاليد المجتمع الذي يعيش فيه، لأن أفكاره كانت تخضع لكل ما تريده الأسرة، ولم يعتنق عقيدة التحرر، إلا بعد أن أذهلته "ليلى" بتحطيمها لكل القيود، يقول مؤكدا على كل ذلك: «لم تكن ليلى مختلفة عني فحسب، بل كانت متحررة من كل شيء عدا إنسانيتها...لم يكبلها أي قيد، كانت حرة...حرة تماما...وقد أذهلني هذا التحرر، فاعتنقته ولم أعتنق شيئا بعده...»[2].

وإثر انتقال "هذام" إلى الحديث عن مجتمعه، يشير إلى أنه لم يكتشف السطحية التي كان يعيشها في خصمه، إلا بعد لقائه، بالصحفية "ليلى"، وبالمضي قدماً نحو الأمام، فإنه يمكننا أن نتعرف على هذه الشخصية المحورية أكثر، "فهذام" هو هذا الرجل المتواضع البسيط، الذي يحب السلام، وما السلام إلا أمنية الشرق التي يسعى إلى تحقيقها، والعيش في كنفها، أما بالنسبة ل"ليلى"، فإنها فتاة تمتهن الصحافة، وتحمل على عاتقها مسؤولياتها، واستحصال قوت يومها، ويظهر ذلك من خلال قول البطل دائماً: «هي حالة غريبة، امرأة استثنائية...حضورها جامح حديثها شامخ، امرأة واثقة، مؤثرة وقوية...امرأة أرسلها القدر إلي في وقت لم أكن فيه بانتظار أي المفاجآت...»[3].

لقد وقف "هذام" أخيراً على حقيقته، إنه ذلك الإنسان الذي يحيا ي عالم السطحية، متعصبا لجذور قبليته وعائلته، كان الابن البار والنموذج المثالي للشاب السعودي الشرقي المتعلم والمتدين، والمتمسك بالعادات والتقاليد، ويأتينا تأكيد ذلك على لسانه، إذ يقول: «بعد حصولي على شهادة الماجستير في الصحافة والإعلام...كنت وقت ذلك ممتلئاً جداً

(1).أثير عبد الله النشمي، المصدر السابق، ص: 35.

(2).المصدر نفسه، ص: 40، 41.

(3). المصدر نفسه، ص: 75.

بالحب لكل شيء...كنت وفياً جدا لوطني، فخورا بديني، متعصبا لجذوري العائلية وللقبيلة...حتى تعرفت على ليلى»[1].

وجدير بنا أن نشير إلى أن معرفة "هذام" ل "ليلى"، قادته نحو الاغتراب والتحرر، فبسببها تغيرت قناعاته الفكرية كليا، يقول في تصريح شخصي له: «بدأت ليلى تستعمرني فكريا، بدأت قناعاتي تتغير...بسبب ليلى تغيرت قناعاتي كليا وتبدلت مفاهيم الحياة لدي...»[2].

لقد جسدت شخصية "ليلى" الواقع المادي الغربي التحرري بكل نفعيته، التي تجري في دمها، فالغرب صورة جميلة في ظاهرها، لكنها مفرغة من داخلها، وما دام أن المرأة هي طريق الرجل نحو الحرية، فقد كانت ليلى كذلك، يقول: «أعرف اليوم بأن المرأة هي طريق الرجل إلى الحرية، وحدها المرأة قادرة على أن تحررنا من عبوديتنا...»[3].

وتتوالى أمارات التحرر ودعواته، وهو تحرر واعتناق تجسده "ليلى" من خلال أفكارها وسلوكاتها، تقول في إحدى المواضع السردية: «سنخرج غداً في مظاهرة نسائية، يشارك فيها عشرات النساء من الأكاديميات والطالبات وربات البيوت...لا حرية بلا ثورة يا هذام...»[4].

ولا تتوانى عن تقديم شهادة أخرى على لسانها، بأنها امرأة مناضلة ساعية وراء الحرية، في أي شكل من الأشكال، إذ تقول: «أنا امرأة قادرة على أن تناضل من أجل حقوقها وحريتها»[5].

---

(1). أثير عبد الله النشمي، المصدر السابق، ص: 33، 34.

(2).المصدر نفسه، ص: 39.

(3). المصدر نفسه، ص: 41.

(4). المصدر نفسه، ص: 48.

(5). م.ن. ص: 39.

1-1-2. الشخصيات الثانوية:

لا تخرج الشخصية الثانوية عن كونها: «شخصية تساعد في نمو الحدث القصصي وبلورة معناه والإسهام في تصوير الحدث ونلاحظ أن وظيفتها أقل قيمة من وظيفة الشخصية الرئيسية، وفي بعض الأحيان تقوم بأدوار مصيرية في حياة الشخصية المركزية»[1].

وعلى هذا الأساس، فإن الأدوار المنوطة لهذا النمط من الشخصيات؛ أي الثانوية، يكون محدودا مقارنة بدور الشخصيات الرئيسة مثلاً، وهي تقوم بدور تكميلي مساعد للبطل، فالسرد لا يخلو دائما من الشخصيات الثانوية كعناصر مساهمة في بناء عملية السرد داخل المنجز الروائي، ومن بين الشخصيات الثانوية المذكورة في مدونتنا التطبيقية نذكر:

- **شخصية جهاد:**

وهو صديق بطل الرواية "هذام"، ويشتغل في منصب رئيس التحرير، الذي لولاه لما كان البطل صحفيا ناجحا، فقد كان "هذام" يستشيره في أموره، وهو يسرد له هذه المتاهة التي دخل فيها منذ لقائه المفاجئ مع الصحفية "ليلى"، مع الإشارة إلى أن "جهاد" إنما يمثل الجانب الشرقي، كما أنه صاحب فضل كبير على "هذام"، الذي لم يصل إلى ما وصل إليه في مجال الصحافة ولم يبلغ هذا المستوى المرموق إلا نتيجة توجيهاته وتشجيعاته، يقول: «اتصل بي رئيس التحرير شخصيا، ذلك العجوز الذي لولاه، لما كنت أنا هذا الرجل!...»[2].

نستشف من خلال هذا المقطع السردي أن رئيس التحرير "جهاد" هو رجل عجوز، يميزه ذقنه، وله الدور الكبير في تكوين شخصيته "هذام، فقد كان يلتقيه دائما في المقهى المقابل لمبنى الجريدة، تلازمه صفة التوتر، وهو صاحب صوت أجش، ومتزوج من

---

[1]. شريط أحمد شريط، تطور البنية الفنية في الرواية، الرواية الجزائرية المعاصرة، منشورات اتحاد العرب، دمشق، سوريا، (د ط)، 1998، ص: 132.

[2]. أثير عبد الله النشمي، في ديسمبر تنتهي الأحلام، ص: 23.

امرأة مسيحية تدعى "مادلين"، ونمسك بفائض هذه المعلومات عندما يردف البطل قائلاً: «...فلتقابلني في المقهى المقابل لمبنى الجريدة...وجدته بانتظاري...يقرع قدمه على الأرض بسرعة كما هي عادته حينما يتوتر...قال لي بصوته الأجش: احك لي يا ملعون!...»[1].

فربما أرادت "أثير عبد الله" لشخصية "جهاد" أن تكون مرافقة ل: "هذام"، كأنها حياته، من خلالها تتحدد آراؤه وأفكاره، فقد جمعت "هذام" و"جهاد" صداقة قوية، حيث أنه كان يخاف عليه، وقد ظهر هذا في قولها: «نظر العجوز إليَّ ملياً ومن ثم قال بصوت هادئ: هذام!...لما لا تزور طبيباً...تقتلك الوحدة يا رجل...الغربة قاسية...ما بالك إن كان المرء منا وحيدا في أرضٍ غريبةٍ!...»[2].

فشخصية "جهاد" من ضمن الشخصيات الثانوية المساعدة في تنامي الأحداث، بحيث تستحضر الرواية هذه الشخصية كصديق "لهذام" عن طريق حديث الكاتبة عنها، وذكر بعض صفاتها وأفعالها، وبهذا تكون قد ساهمت في البناء السردي للرواية.

- **شخصية الوالد:**

هو والد البطل "هذام"،والذي لم يحظ بمؤشراسمي في الرواية، ولذلك، فإننا لا نتعرف عليه إلا من خلال بعض الصفات التي أوردها البطل (نجله) من منظور شطحة الخيال لديه، إذ نسمعه يقول: «أتخيلأنوالدي...رجلاً صلباً...صارماً...قادراً على أن يتخلى عنيبالجملة»[3].

- **شخصية الطالبات والأكاديميات:**

هن مجموعة من النساء والفتيات السعوديات اللاتي خرجن في مظاهرات لاسترجاع حقهنفي السياقة، وقد ضمت هذه المجموعة أيضاً ربات البيوت حيث شاركن في هذه المظاهرة بمساعدة من الصحفي "هذام"، وقد نظمت هذه المظاهرة الصحفية ليلي: وهو

---

(1). أثير عبد الله النشمي، المصدر السابق، ص: 24.

(2). المصدر نفسه، ص:27.

(3). المصدر نفسه، ص: 51.

الأمر الذي كان مخالفاً للقانون في تلك الفترة، على الرغم من أن هذه المظاهرة كانت سلمية، فقط هي ثورة على حقوق النساء في المملكة العربية السعودية، ويتجلى هذا من خلال هذا القول: «... من أجل مجتمعك يا هذام، من أجل المساواة ... من أجل شقيقاتك ووالدتك وبناتك اللاتي سيجئن يوماً...»[1].

كما يفصح السارد عن هذه المسيرة في موضع آخر، حيث يروي لنا بأن هذا الموقف كان عبارة عن تصرف جنوني، إذ يقول: «كان المشهد جنونياً، رؤية سيارات الفتيات وهي تنظم إلى الركب سيارة خلف أخرى كان مهيباً... رأيت أمامي إحدى السيارات الممتلئة بالشبان وهم يحاولون مضايقة الفتيات وإرغامهن على إيقاف السيارة..."[2].

ويواصل السارد إبراز هذا الصراع، وذلك من خلال اعتماده على طريقة فكرية وحضارية؛ تمثلت في تلك المناقشات والحوارات الفكرية التي جرت بين شخصيات هذه الرواية.

وجدير بنا في هذا المقام أن لا ننسى الإشارة إلى شخصية "مادلين"، وهي زوجة "جهاد" صديق "هذام العاصم"، فماذا عن هوية وملامح هذه الشخصية يا ترى؟

- **شخصية مادلين:**

تندرج شخصية "مادلين"ضمن الشخصيات الثانوية داخل المتن النصي للرواية، ويدلنا مؤشرها الاسمي على أنها تنتمي إلى دائرة الغرب، وتبعا لذلك أمكننا القول بأن هذه المرأة لا تمثل لنا سوى الواقع الغربي بكل رؤاه وتصوراته، إنهامرأة تعتنق الديانة المسيحية، وهي –اجتماعيا– زوجة لصديق بطل الرواية جهاد؛ رئيس تحرير الجريدة التي كان يعمل فيها هذا الشاب الصحفي (هذام)، وعلى الرغم من انبثاقها من مجتمع غربي محض، إلا أنها لم تعكس لنا شيئا من فظاعة وبشاعة قيم هذا المجتمع، بل بدت امرأة طيبة على خلق حسن، وكأن الكاتبة "**أثير النشمي**" تعمدت إحداث مثل هذه المفارقة، من خلال

(1). أثير عبد الله النشمي، المصدر السابق، ص: 54.
(2). المصدر نفسه، ص: 144.

تقديمها لنظرة مخالفة تماما لتوقعات الأنا العربية، التي رسمت في مخيالها صورة نمطية للغرب تكرس كل القيم السلبية.

لقد عزفت "**أثير النشمي**"-من خلال استدعائها لشخصيتي مادلين وزوجها- على وتر ثنائية: مسلم (الزوج جهاد)# مسيحي (الزوجة مادلين)، وقد كان هذين الأخيرين بالنسبة ل "هذام" بمثابة العائلة والسند والانتماء والمرجع الوحيد، لقد أحب "مادلين" كثيرا، وتمنى لو كان نسخة منها في يوم من الأيام، ويتضح ذلك من خلال قوله:

«يومها أحببت مادلين أكثر، أحببت تسامحها... وبياضها... وإيمانها... وودت لو أصبحت مثلها يوماً...»[1].

نستشف من خلال هذا المقطع السردي أن شخصية "مادلين" في الرواية، جسدت لنا صورة المرأة المسيحية الطاهرة القلب، المتسامحة والمؤمنة، والتي كانت بمثابة العائلة الوحيدة ل"هذام"، والصديقة الناصحة التي لم تتأخر يوما في توجيه الإرشاد له، ومن شدة رقي خصالها تمنى هذا الشاب الشرقي العربي أن يصبح مثلها، ويتمتع بشيمها، ومن هنا سنلحظ نوعا من التعايش بين (الشرق والغرب)، خاصة وأن "مادلين" هذه المرأة الأجنبية كانت تعطينا صورة حسنة عن العالم الغربي.

- **شخصية ولادة:**

تتجلى لنا شخصية ولادة عبر تضاعيف الرواية على أنها المرأة التي كان قد التقى بها "هذام" في الغرب الأوروبي المسيحي، إنها امرأة عراقية الأصل، اصطدم معها هذا الشاب في مدينة "لندن"، فوقع في حبها، على أننا لا نتعرف على صفاتها وطبائعها إلا على لسان الراوي/ البطل الذي نسمعه يقول: «ولادة لم تكن سهلة الطباع، كانت مغرورة، عنيدة، مكابرة»[2].

لا تظهر ولادة –حسب ما يبدو- سوى امرأة متحررة، تقاذف بها "هذام" في مدينة "لندن" في أحد الليالي الماطرة، لقد أبصرها من بعيد، وهي تحمل على ظهرها آلة كمان،

---

[1]. أثير عبد الله النشمي، المصدر السابق، ص: 88.

[2]. المصدر نفسه، ص: 181.

وتنزوي إلى عمود إنارة، ويظهر لنا ذلك من خلال قوله: «أخذت أتأملها تحت عمود الإنارة...بشعرها الأسود المبلل...وعينيها السوداوين...وخلف ظهرها حقيبة جلدية سوداء خاصة بحمل الكمان...»(1)، وقد برز الصراع والجدل بين ثنائية (الشرق/ الغرب)من خلال سلوكات ولادة وتمردها على كل القيم، ومسايرتها لموجة الانعتاق الغربي من كل قيد، لقد كانت امرأة متحررة ثائرة على عادات وتقاليد مجتمعها العربي وديانته، لها من القوة ما جعلها تعيش وحدها مغتربة عن وطنها، إنها امرأة تحطم كل التوقعات، يقول الراوي: «لكنني كنت أدرك بقرار نفسي أنها امرأة لا سقف ولا حد، امرأة تتجاوز كل المعتقدات... كل البديهيات كل المسلمات...»(2).

والحقيقة أن ولادة هذه المرأة العراقية المغتربة التي عايشت الارتحال من فضاء شرقي عربي محافظ ومتزمت، يضرب القيود الصارمة على الأنثى إلى آخر غربي متحرر، منفلت من كل العوائق والسدود، لم يكن اغترابها نابعا من إرادتها، بل إنها كانت عرضة للطرد والنفي، فقد أخرجت من أرض وطنها العراق بالغضب، وكان ذلك في سن مبكرة من عمرها، وهكذا، فإن الجدل القائم بين ثنائية (الشرق والغرب) ما كان له أن يتجلى إلا من خلال تصرفات هذه المرأة التي بدت متأثرة بتفتح الغرب، وتحرره الصارخ إلى درجة الانفلات، ويأتي هذا المقطع الواصف للتأكيد على انحراف سلوكاتها، يقول السارد:

«أخرجت محفظة سجائرها، أشعلت واحدة وأخذت تنفث دخانها بعصبية.... قالت وهي تشعل سيجارتها الثانية: أنا من قرية العمارة العراقية...»(3).

نلمس من هذا القول حضور جانبين اثنين متباينين؛ الأول هو الجانب الشرقي، فولادة هي امرأة شرقية بامتياز، لا تخفي انتماءها ولا عروبتها، فهي تنحدر من قرية العمارة العراقية، أما الثاني، فهو الملمح الغربي، والذي يتجسد لنا في إقبالها على التدخين بشكل مفرط، إنها ثنائية الشرق/ الغرب التي تجتمع في هذه الشخصية الأنثوية.

---

(1). أثير عبد الله النشمي، المصدر السابق، ص: 115.

(2). المصدر نفسه، ص: 118.

(3). المصدر نفسه، ص: 151، 152.

وإذا كانت "مادلين"، قد جملت صورة الغرب من خلال ما امتازت به من شيم وخصال نبيلة، فإن "ولادة" كانت على العكس من ذلك، إذ لم تعط الصورة الأمثل للشرق، بل راحتترسم لنا بشاعة المجتمع الشرقي وانحطاطه،وفي خضم ذلك كله لا يجب أن ننسى بأن ولادة نفيت من العراق، فهي هاربة من أسرتها، منبوذة من طرف وطنها، وقد يكون انفلاتها هذا بسبب تخلصها من الرقابة الأسرية والاجتماعية معا، ولعلها تتقاسم مع "هذام" هذا اللجوء والتيه في غياب أوطان لا تمت لهم بأدنى صلة، تقول ولادة في فسحة حوار كانت قد دار بينها وبين "هذام": «أنا جئت لاجئة إلى هنا هرباً من وطني... يبدو أن كلينا بلا وطن ولا عائلة... الحق هو أننا منبوذان يا هذام ولسنا بهاربين، أمثالنا ينبذون ولا يهربون...»[1].

والحقيقة أن كل من "ولادة" و"هذام" مختلفين قبائلياً ودينيا أيضا،إذ يعتنق كل منهما دينا يختلف عن الآخر، وهذا ما يحيل بناعلى ثنائية "المسيحية والإسلام"،ذلك أن الأديان هي جدل قائم في حد ذاته، فهي التي تجعل البشر يختلفون عن بعضهم البعض، وهي التي تنفيهم من الوطن، وتحرمهم من اختيار من يحبون من منظور ولادة التي أجبرت على ترك العراق، ونلمس ذلكمن خلالهذه الوصلة الحوارية بينها وبين "هذام": «ألهذا تركت العراق؟!...أنا لم أتركها أنا نفيت منها...نفتني العنصرية التي وأدت حبي...ولم أتمكن من مقاومة النفي بلا حب...»[2].

إذن، لم تمثل ولادة الشرق كما ينبغي، ذلك أنها لم تظهر شيئا من التزام المرأة الشرقية، ولا عفتها وخجلها واحترامها لنفسها، بل لقد بدت على النقيض؛ امرأة تخطت كل الحدود الأخلاقية، ورمت بتعاليم الشرق التي كانت تعيق طريقها عرض الحائط، ومن المقاطع السردية التي تؤكد لنا على تحررها وتأثرها بالمجتمع الغربي قول السارد:

«ما الذي تفعلينه في لندن؟ أفعل ما أحبه...وألتقي من أحب...»[3]، وفي ذلك إيحاء بإقدامها على فعل كل ما يتبادر إلى ذهنها، حتى وإن كان منافيا للأخلاق، وعندما بادرها

---

[1]. أثير عبد الله النشمي، المصدر السابق، ص: 153.

[2]. المصدر نفسه، ص: 157.

[3]. المصدر نفسه، ص: 161.

"هذام" بالسؤال عن مدى تفكيرها في العودة، استهزأت بسؤاله، وأجابته بسخرية، على الرغم من أن الاغتراب قد أضناها، فقد كانت تنزف دماً، وتقطر ألماً، وتنتفض حزناً على وطن انغرس خنجرا في قلبها، فالشوق كان جلياً، حتى وإن بذلت جهدا لإنكاره، ويظهر هذا من خلال قول السارد: «ألا تفكرين في العودة إلى العراق يوماً؟ !...العراق !.... أي عراق، العراق انتهى برحيل الرصافي والبياتي والحيدري والسياب ونازك...لم يعد هناك عراق يا هذام....لم يعد هناك عراق..»[1].

فطابع الجدل القائم بين الشرق/الغرب تجلى أيضا من خلال شخصية ولادة الباحثة عن المساواة والحرية في البلدان الغربية، لأنها افتقدت مثل هذه القيم في وطنها العربي، الذي لم يورثها سوى الظلم والحرمان، تقول:

«...وأنا لا أعد العراق وطني، بل حيث تكون المساواة يكون الوطن...»[2].

ف "ولادة" لجأت إلى "لندن" باحثة عن السلام والمساواة والعدل، على أن لقاءها ب"هذام" أيقظ في قلبه لواعج الحنين والاشتياق إلى دفءالوطن والعائلة، لقد أحبها وتعلق بها لكونهما شخصين مغتربين، وعلى الرغم من المفارقات التي كانت بينهما، وإصراره بعد ذلك على معرفتها، واكتشافه بأنها عراقية اضطرت لترك بلدها الأصلي وأهلها في العراق، بسبب تورطها في قصة حب مع شاب على غير دينها، إلا أن ذلك لم يؤثر أبدا على مشاعره.

والحقيقة أن النقاشات الفكرية الطويلة التي دارت بين هاتين الشخصيتين (هذام/ ولادة)، لا تعبر سوى عن فلسفة مختلفة في الحياة لكل منهما، ولكن على الرغم من ذلك، إلا أن هذه الأخيرة استطاعت إعادة صياغة جدلية الهجرة والحياة، أو هواجس ومتاعب الاغتراب في المجتمع الأوروبي، ثم إن الوضع لم يدم على هذه الشاكلة طويلا، إذ سرعان ما اختفت ولادة ورحلت، تاركة "هذام" وحده يجابه الغربة والضياع، وبرحيلها تبخر حلم آخر أمام هذا الشاب السعودي الذي نجده يقول: «صدمتني صورة أندريه ريو، وصورة ولادة بفستان أسود طويل تحمل على كتفها ناياً...وشعرها الأسود...كتب على

---

[1]. أثير عبد الله النشمي، المصدر السابق، ص: 162.

[2]. المصدر نفسه، ص: 163.

الإعلان: الفنان الهولندي أندريه ريو ترافقه الفنانة الهولندية "ولادة رافد" يودعان لندن بحفلة موسيقية يحييانها في آخر أيام الأعياد...»[1].

لقد أثر رحيل ولادة المفاجئ على"هذام" وصدمه،بل جعله يحيا في كنف الحزن مرة أخرى، لكن رغم الجراح التي خلفها إعصارها العاطفي، إلا أنه قرر عدم البحث عنها، لأنه يؤمن –إلى أبعد حد– بأن كل شيء يبتدئ لسبب، وينتهي لسبب آخر، وهذا ما جعله يدرك في النهاية أنها عبارة عن رسولة لإيصال رسالة ما إليه، لعلها تتمثل في بث روح العودة إلى وطنه العربي.

وبهذه الشخصيات تكون رواية "**في ديسمبر تنتهي كل الأحلام**" ل "**أثير عبد الله النشمي**" قد تناولت مسألة جدلية الصراع بين الشرق والغرب، خاصة بين بطل الرواية "هذام العاصم"، الذي اغترب في مدينة " لندن"، وشخصية "ليلى" التي كانت السبب في تحرره وتغيير شخصيته رأسا على عقب، ليتحول إثر ذلك من إنسان ضعيف، خاضع لمبادئ مجتمعه وقبيلته وعادات وتقاليد عائلته إلى آخر متحرر تماما له الدراية والقدرة على اتخاذ قراراته دون إعلان التبعية لأحد، ولعله لن ينسى ما قالته له ليلى في ذلك اليوم: «متى تتحرر من حالة الجبن هذه يا هذام؟ صدقني لا معنى لحياتك إن كنت ستعيشها مكبلا بالخوف والضعف والتقليدية...»[2].

وإذا كان الفضل في تحرر "هذام" يعود إلى "ليلى"، فإن التحريض على الرحيل أيضا يعزى إلى هذه المرأة التي ما تركت فرصة، إلا واستغلتها للإلحاح عليه بمغادرة فضائه المدجج بالقيود وكثرة الحدود والتعليمات الصارمة، وخير دليل على ذلك هذا المقطع الحواري الوجيز:«فلترحل يا هذام... ارحل وابحث عن نفسك... ولا تعد إلى هنا إلا بعد أن تصل إلى الحقيقة.. أعدك بهذا ليلى، أعدك أن لا أعود إلا حرا»[3].

نلحظ من خلال هذا الكلام تشجيع "ليلى" "لهذام" على الرحيل إلى بلاد الغرب، للحصول على تأشيرة التحرر واستنشاق نسائم المساواة، وكأن في هذا الموقف إدانة

(1). أثير عبد النشمي، المصدر السابق، ص 178.

(2). المصدر نفسه، ص: 61.

(3).المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

للشرق الذي يفتقر إلى مثل هذه المواصفات، ليصبح فضاء خانقا للحريات سالبا للإرادات، منتهكا للحقوق فلا عدل ولا مساواة، على خلاف الغرب الذي بدا في موضع النشدان من قبل البطل بإيعاز من هذه الأنثى، لا لشيء سوى لتمتعه بكل القيم الإيجابية من تحرر وإنصاف ومساواة وعدم التزام بالشروط والعادات والتقاليد، وهكذا، فإن سفر "هذام" إلى "لندن" تاركاً خلفه عائلته ووطنه، دون الالتفات إلى الوراء، كان بدافع البحث عن الانتماء، الذي لا يهتز ولا يغتصب من طرف المجتمع، بل تحطيم لكل القيود التي تقف في وجه حصوله على الحرية، وهذا ما أفصح عنه في أحد مقاطع الرواية، إذ يقول: «رحلت وقررت أن أنتهي من كل ما مضى... تركت كل شيء خلفي، عائلتي، وطني، الحروب الضروس، وعرابتي ليلى!... رحلت يومها من دون أن أودع أحداً أو ألتفت إلى شيء !...»(1).

إن تحرر "ليلى" الملفت، والتزام "هذام" المفرط بعادات وتقاليد عائلته السعودية المحافظة، هو ما ساهم في إبراز ثنائية الشرق/ الغرب بشكل أوضح في جانبها الصراعي الجدلي بين طرفي هذه الثنائية، ليصبح الفرق واضحا، فالشرق هو عالم انتهاك حقوق الإنسان وطمس مساحة حريته وانعتاقه، إنه دقة تقليدية تفرض جملة من القواعد والقيود الثقيلة، أما الغرب فهو فضاء يوحي بالانفتاح والعيش في أجواء مفعمة بالتحرر وفعل أي شيء يمكن أن يتبادر إلى الأذهان، على أن "ليلى" ستبقى أحد الأسباب الرئيسة في اغتراب البطل، وهذا ما أقره بلسانه من خلال استحضاره لاعتراف باحت به ليلى: «لا أعرف إن كنت السبب الرئيس لتغيرك، لكنني أدرك، وبلا شك، أنني كنت أحد أسبابه»(2).

وعلى الرغم من اغتراب"هذام" في مدينة "لندن" البريطانية، وحصوله على التفتح والتحرر اللذين تمناهما في يوم من الأيام، إلى أنه لم يقتنص الرضا الكامل في قرارة نفسه، فقد شعر أنه هناك تحول إلى كاتب صغير مغرور، ووجد في حياته الجديدة كماً كبيراً من الحريات المختلفة تماماً عن المألوف في بلده، ولكن ثمة شيء ما ينقصه، وهذا ما جعله في آخر فترة له يحن إلى الألحان الشرقية التي وجد فيها نوعاً من الدفء

(1). أثير عبد الله النشمي، المصدر السابق، ص: 62.

(2). المصدر نفسه، ص: 79.

والراحة، وهذا دليل على أصالته، فحبه للموسيقى الشرقية وشغفه لسماعها هو ما يجسد شرقيته، ويتضح لنا ذلك في قوله: «إلا أنني بت أحن مؤخراً للألحان الشرقية..أتوق لصوت العود والقانون.. للموشحات الأندلسية..للمقاماتالنهاوندية..بعيداً عن أجواء باخ، وهايدن، وموزارت وبيتهوفن.. بت أخشى كل ما يربطني بشرقيتي، بعروبتي...»[1].

والحقيقة أن المغترب الشرقي العربي، أيا كان بلد اغترابه، فإنه يعيش حالة صراع حادة، ويغرق في متاهات الشقاء والمعاناة، ويحس بأنه ضعيف بعد أن طالته يد اللعنة: «كم هم ملعونون العرب لأن شيئاً من أراضيهم ومن تاريخهم يظل فيهم مهما حاولوا استئصاله..العروبة مرض وراثي لا يرجى برؤه، مرض نتعايش معه أينما كنا وحيثما ذهبنا، فلا قدرة لنا على التخلص منه حتى وإن رغبنا وسعينا وتطببنا..»[2].

وهكذا، فإنه من الصعب على الإنسان الشرقي التخلي أوالابتعاد عن عروبته واستئصالها مهما حاول ذلك، إذ تظل الهوية العربية راسخة في نفسيته وذاتيته، يستحيل عليه تركها أونسيانها، ونلمس أمارات هذه القضية الجدلية في قول السارد: «أنا الذي لم أفهم كيف فعل بي الوطن كل هذا، كيف انتزع مني تلك الطموحات والأحلام، الوطن الذي حرمني أن أساهم في تقدمه...في إعماره..أن أمارس حياتي بين ربوعه...»[3].

ويمكن القول أن الإنسان الشرقي، وعلى الرغم من تحقيقه لكل الماديات، وحصوله على الجنسية الغربية في هذه البلدان، إلا أنه يظل دخيلا عليهم، غريبا عنهم، دون مستوى في نظرهم، وقد صورت الكاتبة بشاعة نظرة المجتمع الغربي للإنسان المغترب، وهي نظرة مثقلة بالاحتقار والازدراء، ويظهر ذلك في الإقرار الآتي: «هناك نحن نعيش دون المستوى على الرغم من ترفنا والبذخ الذي يحيط بكل مكان نتواجد فيه...شيء ما يجعلهم يعتقدون أنهم أفضل منا...وإن كانوا لا يصرحون بذلك إلا أن أعينهم تقول لنا...فلتعيشوا

---

[1]. أثير عبد الله النشمي، المصدر السابق، ص: 128، 129.

[2]. المصدر نفسه، ص: 130.

[3].المصدر نفسه ، ص: 166.

في بلادنا كما ترغبون...ولتمارسوا حرياتكم...لكنكم ستظلون...أقل منا في كل شيء هناك نحن نظل الغرباء... مهما اندمجنا في مجتمعهم...»[1].

لقد ساهمت الشخصيات على مستوى رواية "**في ديسمبر تنتهي كل الأحلام**" في إثارة مشكلة الصراع القائم بين الشرق والغرب بشكل جلي، خاصة وأننا لا نستطيع أن نفهم رواية ما، إلا من خلال شخصياتها التي تحرك أحداثها وتفاصيلها، ولعل رواية "**أثير النشمي**" لا تشكل الاستثناء في ذلك، إذ نقف عند سرد السارد لمختلف الوقائع والأحداث من بدايتهاإلى نهايتها، ففي بداية الرواية نطالع شخصية "هذام"؛ الرجل الشرقي الضعيف الخاضع لقواعد مجتمعه وقبيلته وعائلته المحافظة، والذي يتمكن –مع توالي السرد– من الخروج من هذا الخضوع الحتمي بعد تعرفه على الصحفية ليلى، التي أوقدت فيه شرارة التغيير، وشجعته على التحرر،الذي لن ينعم بثماره إلا بارتحاله إلى بلاد الغرب، لكننا في الأخير نلمس بين طيات السرد نوعاً من الندم والحزن على تركه لأسرته،وابتعاده عن وطنه وأهله.

يتضح لنا مما سبق أن ثنائية "الشرق والغرب" من القضايا الفكرية الكبرى التي شغلت اهتمام الروائيين العرب، وحظيت باهتمامهم الكبير على مستوى التداول السردي، ومامن شك في أن "**أثير عبد الله النشمي**" هي واحدة من هؤلاء، إذ استهوتها هذه القضية، فراحت تفرد لها نصها الروائي الذي بين أيدينا، مع العلم أن هذه المسألة كان قد سبق إلى طرقها العديد من رواد الإصلاح والنهضة العربية الحديثة فيما مضى.

---

[1]. أثير عبد الله النشمي، المصدر السابق، ص: 168.

2- الرجولة / الأنوثة (الذكر/ الأنثى):

ولّدت قضية الرجولة والأنوثة -ومنذ أمد بعيد- جدالا متناهيا، فالصراع هو محورها الأساسي الذي تقوم عليه، وسطوة المجتمع الذكوري هي ما يثير هذا الجدلويغذيه، مع العلم أن هذه القضية قد تطورت، وبرزت بشكل كبير، خاصة في فترة الاستعمار، هذا الأخير الذي لم يخف أي جهد من أجل ترسيخ هذه الثنائية، وهذا ما تقصياه في روايتنا "**في ديسمبر تنتهي كل الأحلام**" ل: "**أثير عبد الله النمشي**"، وذلك من خلال حضور شخصيتي الصحفيين "هذام"؛ وهو بطل الرواية، و"ليلى" المتحررة، التي غيرت نظرته وعقيدته إزاء الحياة والمجتمع تماما، حيث نجد البطل يعيش وسط عائلة محافظة، ويصطدم بتقاليد المجتمع الصارم، كما أن أفكارهلا تتشكل إلا وفق ما تريده الأسرة وترتضيه، وقد كانت فكرة عمل المرأة إلى جانب الرجل من الأفكارالمنبوذة في المجتمع الخليجي،وعندما يقع هذا الأخير في حب "ليلى" يشعر على الفورأن أحلامه وطموحاته سطحية جداً مقارنة بها، وما ضاعف من إعجابها هو جرأتها على العمل، والخروج عن تقاليد المجتمع، على أن كل الأحلام التي راودته، وكل الأهداف التي سطرها ستنتهي في شهر ديسمبر، خاصة وأن عائلته المحافظة تقف في وجه حبه، وترفض زواجه من هذه المرأة، لأن التقاليد والأعراف الاجتماعية-من منظور عائلته- لا تسمح بحدوث مثل هذا الزواج، ثمإن "هذام" لن يستطيع ضرب قرار أسرته عرض الحائط نظرا لضعف شخصيته، واعتياده على تحكم أسرته، والخضوع لكل قراراتها، ولعل هذا المقطع السردي يأتي للتأكيد على ذلك:

«لم تكن ليلى تناسبني "قبائلياً"...وقضية القبائلية هذه هي المأزق العاطفي الأكبر... لم يكن صدامي بعائلتي عادياً... فثرت كما لم يفعل أحد... قاومت العائلة والقبيلة... لكن هذا لم يشفع لي عند عائلتها... لم يقبل والدها أن يضع ابنته في هذا الجحيم...»[(1)].

نلاحظ فشل بلوغ الهدف وإرواء شغف الحب، ف "هذام" وعلى الرغم من وقوفه في وجه عائلته، وتمرده وإعلانه للثورة ومقاومته لسلطة القبيلة، إلا أن عائلته لم ترض بهذا الزواج،بل رفضته رفضا قاطعا، لا لشيء، إلا لكونها أسرة محافظة، وقد نشأ وفق

[(1)].أثير عبد الله النشمي، المصدر السابق، ص: 43، 44.

تعاليمها، على خلاف ليلى التي ترعرعت في أسرة متحررة، وبيت منفتح إلى أقصى الحدود، ويظهر لنا ذلكمن خلال قولها: «نشأت في بيت متحرر وعائلة منفتحة إلى أقصى درجة...»[1]، وهكذا، فإن نشأة "ليلى" في كنف عائلة منفتحة،انطبع في وجدانها، وانعكس في تصرفاتها التي بلغت في تحررها حد التسيب واللامبالاة، ومنه فإن هذا التحرر لا تحكمه المواضعاتالاجتماعية ولا الشرائع الدينية التي تنفر منها إيديولوجية مجتمعها، خاصة وأن الإنسان –بديهيا– مجبول على التأثر بالمحيط الذي يعيش فيه.

كما نرصد في هذا الفضاء النصي ثورة المجتمع الذكوري الشرقي (العربي) على المرأة العاملة، خاصة المجتمع السعودي الإسلامي، الذي يكاد يجرم عمل المرأة إلى جانب الرجل وهكذا، فإن مجتمعنا العربي ككل لا ينظر إلى هذا الأمر، إلا باعتباره حالة من التسيب والانفلات، فالمرأة التي تخرج إلى العمل تصبح منبوذة من طرف مجتمعها، الذي يجد في خروجها هذا سبيلا لتعلم الخطيئة والوقوع في براثنها، مما يجعلها عرضة للعقاب،على الرغم من أن الإسلام قد منحها جميع حقوقها، إنها نظرة تدين المرأة، وتضعها في خانة التخلي عن الواجبات الأسرية، والتمرد على عادات وأعراف وتقاليد المجتمع، ويتجلى لنا هذا الموقف من خلال قول السارد: «كانت فكرة أن تمارس المرأة الصحافة في ذلك الحين خطيئة يعاقب عليها المجتمع بكل ما يمكن أن تعاقب به امرأة في مجتمع ...»[2].

يعرض لنا سارد الرواية شخصية "ليلى"، كنموذج للمرأة الجديدة المتحررة من كل الأشكال والقوالب، والأعراف والعادات الاجتماعية، فهي مطلقة تعيش حرة، وتتمتع بجرأة كبيرة، تدافع عن حقوق المرأة السعودية، إذ تشهر سيف المواجهة ضد مجتمعها الذكوري، وهي في سن مبكرة، إذ يقول: «... أن تواجه فتاة في الثالثة والعشرين مجتمعاً ذكورياً متزمتا كالمجتمع السعودي كان برأيي محاولة انتحار ناجحة!...»[3].

---

[1]. أثير عبد الله النشمي، المصدر السابق، ص: 55.
[2]. المصدر نفسه، ص: 34.
[3]. المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

إذن، تخوض "ليلى" معركة ضد المجتمع الذكوري الذي يبسط هيمنته على المرأة بكل ما أوتي من قوة، خاصة المجتمع الذكوري السعودي، الذي يفرض سطوة رهيبة بكل أشكاله الفكرية والثقافية، في ظل إقصاء المرأة وتهميشها وتغييب أدوارها التي من شأنها أن تشكل الفارق، وتبعا لذلك، فإن نظرة هذا المجتمع –المتسلط والسالب للحقوق الأنثوية– إزاء المرأة التي تغادر منزلها لتزاحم الرجال، تتسم بالإجحاف والجور، وذلك بإلحاق أقسى النعوت بها، والتي تجعل منها منفلتة ساقطة أو مسترجلة والعياذ بالله، يقول السارد عن "ليلى": «كانت الصحفية الأولى والوحيدة التي تعمل في جريدتنا، وكان وجودها محل استهجان من كل العاملين على الرغم من تقاريرها المميزة...»[1].

وعلى هذا الأساس، فإن انطلاق المرأة الكاتبة لإثبات ذاتها وخصوصيتها عن طريق الإتقان والإبداع في عملها، يعد تقويضاً ونهوضا على كل مظاهر التحيز الذكوري في الثقافة الإنسانية، والقضاء على البذور المنتجة لفكرة تفوق الذكر على الأنثى داخل المجتمع، ورفع التهمة عنها بكونها منصرفة عن طبيعتها، ولعب أدوارها الأولى والأصلية كأم وزوجة، وعليه، فإن«الحديث عن مظاهر التحيز ضد المرأة في التراث العربي هو الحديث عن المعوقات والعراقيل أمام ريادة الأنثى في الفكر والثقافة والإبداع بسبب طغيان عنصر– التحيز في الإنسان، ومعناه القضاء على البذور المنتجة في المجتمع...»[2].

نصل من خلال هذا الحديث إلى أن المجتمع الذكوري المتسلط والقاهر، خاصة المجتمع السعودي المنغلق والمتزمت، كما صورته "**رواية في ديسمبر تنتهي كل الأحلام**"، ليس من هم له سوى طمس هوية المجتمع النسوي، والإمعان في سلب كل حقوق المرأة واغتيال طموحاتها، كونها أنثى ضعيفة في نظرهم، غير قادرة على الخروج للعمل ومنافسة الرجال، وبالتالي فهي عاجزة عن أداء الأدوار الريادية.

وبالإضافة إلى ما سبق، فإن هذا التطور الذي ارتبط بشخصية الأنثى، نجده بعيداً كل البعد عن مسار المجتمع وتطلعاته، لاسيما وأن نهضة المرأة العربية الأدبية متعلقة

---

[1]. أثير عبد الله النشمي، المصدر السابق، ص: 37.

[2]. ليلى محمد بلخير، في خطاب المؤنث في الرواية الجزائرية، منشورات مؤسسة حسين رأس الجبل للنشر والتوزيع، قسنطينة، الجزائر، (د ط)، 2016، ص: 76.

ومتأثرة بالحضارات الغربية،فتحررها يلغي عالمها القديم بخلق عالم جديد في حياتها، تتحد فيه إبداعات الرجولة والأنوثة معاً، بحيث يساهمان في تقدم المجتمع وتطوره، وبالتالي انتفاء استقلالية جهدها في تكوين هويتها الإبداعية.

وعلى الرغم من أن بطل الرواية ينتمي إلى المجتمع الذكوري، ويدرك أن هذا الأخير يرفض المرأة بشكل قاطع، إلا أنه لم يتأخر لحظة في مساندتها والدفاع عنها، يقول: «فدافعت عنها في اجتماعنا الأول حينما أشار أحد زملائنا بصورة غير مباشرة إلى أن المرأة التي تغادر منزلها لتزاحم الرجال في أعمالهم لن تكون إلا امرأة من اثنين، فإما أن تكون ساقطة، وإما أن تكون مسترجلة والعياذ بالله»[(1)].

ولا يمكن إنكار سخاء "هذام" في الدفاع عن المرأة، ومؤازرتها والوقوف إلى جانبها، ويتضح ذلك من خلال قوله: «أذكر بأنني قاطعته بأن: كل إناء بما فيه ينضج... وبأننا نحكم على الآخرين بناء على أخلاقيتنا....ومع أن ما قلته قد كلفني الكثير من الصداقات...زملائي.... رأوا في رجلاً شهوانياً يهاجم زميله دفاعاً عن ساقطة!...»[(2)].

إن دفاع "هذام" بطل الرواية عن زميلتهالصحفية "ليلى" كلفه خسارة زملائه الصحفيين الآخرين (من جنس الرجال)، والذين يمثلون طرفا من أطراف الصراع في المجتمع السعودي المتعصب قبلياً، فقد نظروا إليه على أنه رجل شهواني يدافع عن ساقطة، وقد اتخذوا من تصرفه دليلا على مدى احتكام الرجل لسلطة المرأة، وفي ثنايا السرد أيضا، يتكشف لنا مدى القهر الممارس ضد الأنثى، وهيمنة الفكر اللغوي الذكوري والثقافي، ويبدو أن خبر اعتقال ليلى كان بالنسبة بزملائها الرجال بمثابة هدية من السماء، يقول السارد: «هبط خبر احتجاز ليلى على زملائنا كهدية من السماء، كانوا شامتين، يختلقون الأخبار...»[(3)].

وعلى هذا النحو، فإن المرأة في المجتمع العربي مهمشة من طرف الرجال، فالرجل يرى نفسه الأمثل والأكمل والأذكى بكثير من النساء، أما الأنثى فتبقى بالنسبة إليه، هي

---

(1). أثير عبد الله النشمي، في ديسمبر تنتهي كل الأحلام، ص: 37.

(2). المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(3). المصدر نفسه، ص: 58.

الجنس الأدنى ذكاء والأقل عقلا، ويتضح هذا التوجه أكثر من خلال هذا المقطع السردي: «يعتقد الرجال بأنهم أذكى بكثير من النساء مع أن عالم النساء يظل بالنسبة إلى الرجال عالماً لا يفهم...إلا أن الأنثى... تظل بالنسبة للذكر هي الجنس الأدنى ذكاء... أفكر أحيانا بالفرق بين رجولتي وذكورتي... الرجولة والذكورة يحكمها الجدل الذي لم يحسم في عالم الشرق خاصة عند العرب المتضخمين "الرجولة" بوهمية...»[1].

وفي سياق الحديث عن المجتمع العربي المتعصب للعادات والتقاليد، وهيمنة جنس الذكر فيه، أشار السارد إلى الفرق بين هذا المجتمع العربي المنغلق، والمجتمع الغربي المنفتح الذي تجد فيه "الأنا" كل تحررها، حيث أنها تتحررمن كل الضوابط والقيود، وتفرض هويتها داخل المجتمع، على عكس المجتمع العربي الذي تسلب فيه الذات كل حقوقها، وتطمس هويتها، ففي هذا المجتمع تبجل التقاليد، وتمجد الجماعة، ويعلو صوت التعصب للذكر، وفي هذا المقام يعمد بطل الرواية "هذام" إلى إثبات شرقية والده، وأهميته ومكانتهفي المجتمع السعودي؛ فهو "رجل" يعتنق عادات وتقاليد مجتمعه، الذي يعطي الأولوية في السيادة للرجل،ويهمل دور المرأة (خاصة العاملة)، وينفي احتمالية وجوده أساسا، وتتضح لنا أيضا –وبصورة أجلى– فكرة التعصب القبلي، ورفض والد "هذام" لزواج ابنه من هذه الصحفية، وعدم الوقوف إلى جانبه أومساندته من أجل الوقوف أمام قرارات قبيلته التي كان يعيش بين أحضانها، ويبرز لنا ذلك من خلال قوله: «فكرت يوم ذلك بالفرق الشاسع بين والدي وبين ذلك الرجل... والدي لم يكن عظيماً أبداً، والدي كان رجلاً عادياً يعتنق العادات ويبجل التقاليد ويمجد الجماعة... كان قادراً على أن يكون عظيماً بوقوفه في وجه كل شيء من أجل... ركب القبيلة فوقف معهم أمامي مانعاً إياي من السعادة...»[2].

ومن هنا يتضح لنا أن الموروث الثقافي الشعبي يعاني عجزا وقصورا، لأنه لم يمنح للمرأة أية خصوصية فكرية، على اعتبار أن مكانتها من مكانة الرجل، أو أن للأنثى مكانة جنبا إلى جنب مع جنس الذكر، ورغم بساطة ومحدودية التفكير لدى والد "هذام"، إلا أنه

---

(1). أثير عبد الله النشمي، المصدر السابق، ص: 135، 136.

(2). المصدر نفسه، ص: 147، 148.

كان يستمد خبرته في الحياة مما ورثه من الشعب السعودي القديم، خاصة ما اتصل بفكرة تزويجه لابنه من فتاة لا تخضع لعادات وتقاليد مجتمعها.

وفي ثنايا هذا السرد نجد نوعاً آخر من تمرد الأنثى على قبيلتها ومجتمعها، وقد جسده لنا السارد في شخصية "ولادة"؛ الفتاة العراقية التي سبق التعريف بها، على أنها أنثى متحررة، كانت تعيش في "العراق"، هذا المجتمع العربي الذي يضم بين أعطافه بشر ينتمون إلى عقائد وأعراف مختلفة، فهو ذوتركيبة سكانية متعددة الأديان والطوائف، تلتقي في العيش المشترك على رقعة جغرافية واحدة، إلا أننا عند قراءتنا للرواية نجد شخصية ولادة تنفر وتتبرأ من بلدها العراق ومجتمعها الشرقي، فهي أنثى كسرت تابوهات المجتمع العراقي، ونفيت منه،وقد كان السبب وراء ذلك –كما سبق وأشرنا–صرامةالأعراف والتقاليد داخل مجتمعها الذي تحيا بها، والذي يسوده أيضا التمييز العنصري، وإلغاء حق الأنثى في الزواج من رجل يخالفها دينياً، ووقوف القبيلة ضدها، ويتضح لنا هذا أكثر من خلال الطرح القول السارد:

«كانت ولادة تحاول التبرؤ من عراقها.... لأنه لم يتمكن من إنقاذ حبها...كيف تشوه الأوطان في أعيننا بلا ذنب ترتكبه الأوطان سوى أنها ضمت بين حدودها بشراً ينتمون إلى عقائد وأعراف مختلفة»[1].

وفي ظل هذه الجدلية القائمة بين ثنائية الذكورة والأنوثة، ندرك أن للقبيلة الحق في اختيار الشريك المناسب للأنثى، وأن اختيارها للرجل الذي يعتنق دينا غير دينها يعد تسيبا وانفلاتا وخروجاً عن أعراف وتقاليد العائلة، ومن تصبح الأنثى متمردة أو صعلوكة –إن صح التعبير– فيحدث أن تنبذها القبيلة أوالوطن.

ومن هنا نجد أن السرد يعرض لنا شخصية "ولادة" كنموذج للمرأة الجديدة أيضا– على غرار الصحفية ليلى– المتحررة من كل الشروط والحدود، والأعراف والعادات الاجتماعية، إنها امرأة مطلقة تعيش منفردة بعيداً عن أهلها، فنانة تعزف على الكمان، وهي أنثى جامحة، متمردة على سلطة مجتمعها العراقي، هربت من وطنها متحدية الخوف

---

(1).أثير عبد الله النشمي، المصدر السابق، ص: 162.

من الموت وعقاب القبيلة لاجئة إلى لندن، للبحث عن عالم جديد تسوده المساواة والحريةوالعدل، عالم تستطيع أن تمارس فيه حريتها في التعبير عن ذاتها، والإفصاح عن هويتها وخصوصيتها،لأنه لا يفرض أية سلطة على الفرد، ولا يقيده بأية اشتراطات من شأنها الحد من انعتاقه وانطلاقه.

لقد بدت ولادة كمطلقة تائهة في دروب الغربة القاسية في "لندن"، وهذا ما سعت إليه فعلاً بعد هروبها من قبضة المجتمع الشرقي، ومن هذا المنطق ترسم لنا الرواية صورة الأنثى الجديدة التي تصارع عادات قبيلتها ومجتمعها، لاهثة وراء هدف كبير هو تحقيق الخصوصية، لقد هجرت أهلها، تاركة بصمتها الخاصة داخل المجتمع الذي يرى أن دور الحريم مهمش في الثقافة الاجتماعية المتوارثة،فمن حقها اليوم أن تفعل ما تشاء، فلا حلال ولا حرام في قاموس هذا المجتمع الجديد، وخير دليل على النهج الذي نحته هذه المرأة في الغرب، هذا المقطع السردي: «ما الذي تفعلينه في لندن؟ أفعل ما أحبه... وألتقي من أحب...»(1).

فنموذج المرأة الجديدة يحضر في هذه الرواية في صورة الأنثى المتمردة المنفلتة من كل قيد، ومع ولادة بالذات يمكن القول بأن هذه الشخصية تتسم بالقوة والصلابة والروح المستقلة، وتبني أدوار مغايرة، بعيداعن تلك الأدوار النمطية التقليدية في بلادها.

نستخلص مما سبق أن الصراع الاجتماعي الذي تجسده بطلات رواية "**في ديسمبر تنتهي كل الأحلام**" للكاتبة "**أثير عبد الله النشمي**"، هو صراع مرتبط بالظروف والحيثيات المحيطة؛ ومعنى ذلك أن الظروف الاجتماعية هي التي أسهمت في تحديد مسار أبطال الرواية، كما تجسد لنا هذه المدونة السردية أيضاً جدلية عيش المرأة في المجتمع الذكوري مما يجعل من الموضوع الذي تسعى الذات (الأنثى) إلى اكتسابه، هو دائماً الرغبة في إثبات الهوية، والتخلص من سلطة الآخر، الذي يفرض عليها وضعاً دونياً لا تقوى على تقبله.

---

(1). أثير عبد الله النشمي، المصدر السابق، ص: 161.

3. المسيحية / الإسلام:

قد يكون التعايش بين الأديان أمراً صعباً، ولعل مكمن الصعوبة يتجلى في تحقيق التوافق العقائدي داخل وطن ما، لأن الأمر قد يكون مستحيلاً في بعض الأحيان، وعندما لا تكون هناك أرضية مشتركة، فلابد في كثير من الأحيان من تقديم التنازلات، لاسيما أن لكل دين أسلوبه الخاص في فهم الحياة، ولهذا أعطيت الأولوية للاهتمام في تعزيز السلام بين الأديان، تحقيقا للتقارب بين الرؤى ووجهات النظر، ويبدو أن الرواية –التي بين أيدينا–تنطوي على توجهات عقيدية عديدة، إذ بدا أن لكل شخصية دينا خاصا بها، سواء أتم اعتناقه عن قناعة، أملا.

وقد تعددت الأديان في هذا المنجز الروائي تبعا لتعدد المذاهب، إذ نجد بطل الرواية "هذام العاصم" يمثل الدين الإسلامي، فهو شاب عربي سعودي، وقد سبق لنا وأن أشرنا إلى ذلك، فالإسلام هو دين الدولة الرسمي في المملكة العربية السعودية، حيث يعتبر جميع أفراد الشعب السعودي مسلمين، أضف إلى ذلك، أنه لا يوجد قانون في السعودية يحمي حرية الاعتقاد، وفي تضاعيف السرد ندرك أن شخصية "هذام"إنما تمثل الرجل المسلم أو عقيدة الإسلام في الرواية، وقد برزت ثنائية الدين (الإسلام/ المسيحية) أكثر في روايتنا، من خلال تصرف بعض الشخصيات، فـ"مادلين" المسيحية زوجة صديقه "جهاد"، قد أهدته سجادة متمنية رؤيته يصلي عليها، وهذا ما من شأنه أن يؤكد على وجود تنازلات من قبل الآخر إحقاقا للتوافق والتعايش العقائدي بين جميع الأطياف داخل المحيط المجتمعي، يقول السارد مشيرا إلى طبيعة الهدية التي تلقاها: «لن أنسى السجادة التي أهدتني إياها لأصلي، يومها سألتها بسخرية: كيف تهدين مسلماً سجادة وأنت مسيحية؟... مو عيب عليك؟...»[1].

وعلى الرغم منتأكيد الرواية على أن العقيدة التي يدين بها الشاب "هذام" هي الإسلام، بحكم انتمائه إلى المجتمع السعودي،إلا أن هذا الحضور الديني لا يعني الالتزام الكلي بصفات الإسلام وتعاليمه من قبل هذا البطل، وبالتالي لم يكن رجل الدين المثالي بتاتا.

---

(1). أثير عبد الله النمشي، المصدر السابق، ص: 88.

وبتتبع خيوط السرد في رواية "**في ديسمبر تنتهي كل الأحلام**" يتضح لنا –وبشكل جلي– موقف السارد (ومن ورائه الكاتبة) من الدين الإسلامي،الذي لم يتم تفضيله أو جعله ذو مكانة خاصة، بل إنه بدا ذلك الدين البسيط الذي لا يختلف كثيرا عن باقي الديانات، وبالتالي، فإن الرواية لا ترجح الكفة لصالح شعار عقيدي عل حساب آخر، بل إن الجميع سواسية، وإذا كان الإنسان ابن بيئته، فما من شك في أن الدين ستكون له صلة بنظامه الحياتي والاجتماعي والفكري، لكن يبدو أن "هذام" على العكس من ذلك، فهو لا يدافع عن الإسلام، ولا نجده متأثراً به، على الرغم من يسر هذا الدين، وكون كل شيء فيه خالصا وصادقا، وقد تبين هذا من خلال قول السارد:

«قالت بتمنى أشوفك تصلي مرة واحدة بحياتي... ما بدي تروح النار يا خي...»(1).

فمن خلال هذا الكلام، يتضح لنا أن "هذام" بطل الرواية هو شخصية لا تمتلدين الإسلامي بأية صلة، خاصة وأنه معرض عن الصلاة التي تشكل عماد هذا الدين، وأساس صحة باقي العبادات فيه، وإلى جانب الديانتين الإسلامية والمسيحية، نلمس حضور ديانة أخرى في المتن النصي؛ وهي "الصابئية"، وقد مثلتها شخصية "ولادة"، وهذه الديانة مسالمة وغير تبشيرية، إذ لا يمكن دخول معتنق جديد لها، شعارها اللون الأبيض، كما أنها تحترم جميع رسل الله، وتدعو لوحدانية جل وعلا، وهذا الدين موجود في العراق على وجه التحديد، وعلى الرغم من أن "الصابئة" ذكروا في القرآن الكريم في أكثر من موضع، إلا أن الكثير من المسلمين لا يعرفون شيئاً عن هذا الدين التوحيدي، فأصحاب هذه الديانة لهم كتابهم السماوي، ومن الآيات الكريمة التي نستدل بها على ذلك قوله تعالى:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ وَٱلصَّـٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ (2).

(1). أثير عبد الله النشمي، المصدر السابق، الصفحة نفسها.

(2). سورة البقرة، الآية: 62.

وكذا قوله عز وجل: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾[(1)].

ويحضر هذا التوجه الديني في الرواية من خلال هذا المقطع السردي: «أنا متأكدة من أنك لم تقابل صابئياًوصابئية خلال حياتك...»[2].

فشخصية "ولادة" الصابئية لم تكن تمثل هذه الديانة بصورة كاملة، لأنها كانت تراه كعلامة فارقة فقط بين الأديان، حيث أن اعتناقهالهذا الدين كان بسبب خسارتها للشخص الذي كانت تحبه، وترغب في الزواج منه، وهو السبب الذي جعلها تلجأ إلى الغرب هاربة، من أجل الحصول على نمط معيشي متحرر، ونلمس ذلك انطلاقا من قولها: «ديني هو علامتي الفارقة، لذا سيظل هناك شيء ما يربطني به... شيء يميزني على الرغم من عدم حبي له...»[(3)].

وتستهوي ديانة الصابئية بطل الرواية "هذام العاصم" الذي لم يخف رغبته في تعلم شرائع هذا الدين، لكن يبدو أن محبوبته "ولادة" أحجمت عن ذلك، بحجة أن الدين الصابئي للصابئة فقط، إذ نسمعها تقول: «لكن لا أستطيع تعليمك إياه...فالدين الصابئي للصابئة فقط...نحن نصلي ثلاث مرات في كل يوم، صلاتنا قريبة من صلاة المسلمين، لكننا لا نسجد ونتوجه إلى الشمال عندما نصلي... نتلو آيات من أحد كتبنا، نصوم ثلاثة وثلاثين يوماً من كل عام ولكننا لا نصوم عن كل شيء...نتصدق...نحرم الزنا وشرب الخمر والكذب والظلم، نؤمن بالقضاء والقدر وبالبعث وبالجنة والنار..»[(4)].

وانطلاقا من هذا القول يمكننا أن نجد تشابهاً وتقارباً بين الدين الإسلامي والدين الصابئي، كالصوم وهو أحد أركان الإسلام والصدقة، وتحريم الزنا وشرب الخمر والكذب، وهذه السلوكات نجدها منبوذة ومحرمة في ديننا الحنيف، ناهيك عن وجود تشابه

[(1)]. سورة المائدة، الآية: 69.

[(2)]. أثير عبد الله النشمي، في ديسمبر تنتهي كل الأحلام، ص: 153.

[(3)]. المصدر نفسه، ص: 154.

[(4)]. المصدر نفسه ، ص: 155.

في الإيمان بالقضاء والقدر، وعلى الرغم من وجود تماثل بين الأديان، إلا أننا لا ننكر وجود صراع بينهما، وهذه قضية موجودة منذ القدم، ف"ولادة" –مثلا– والتي تنبذ عنصرية الدين، كانت تعتنق الديانة الصابئية، لكنها لم تكن مؤمنة، فقد كانت تصلي فقط بسبب المرجعية، أي العودة إلى خطاياها وذنوبها لا غير،وحري بنا أن نشير إلى أن الصابئين هم أولئك الذين يرتلون صلواتهم باللغة "المندائية"، وتعرف صلاتهم "بالبراخة"، أما التيمم ف"بالرشامة"، وقد كان أغلب الصابئين لا يجيدون اللغة المندائية، حيث يحضرون التعاميد، ويؤدون الصلاة دون فهم شيء عنها، حتى أن شخصية "ولادة" راودتها أسئلة في قرارة نفسها،إذ كيف لها أن تؤمن بهذه الديانة وتعتنقها، وهي لا تفهمها، حتى أنها لا تؤثر فيها أصلا، يقول السارد:

«أتدري أن أغلب الصابئين يحضرون التعاميد ويؤدون البراخة وهم لا يفهمون شيئا مما يتلونه فيها..كنت أفكر دائماً كيف نؤمن بما لا نفهمه ونعتنق ما لا يؤثر في دواخلنا...»[(1)]، والجدير بالذكر أن الدين الصابئي هو دين قائم على شكليات اعتباطية لا تمت بأية صلة لجوهر الدين الحقيقي،المبني على أحكام وشرائع ومبادئ توجيهية وتهذيبية، فلم يسع معتنقي هذا الدين سوى إلى الانجراف نحوه وإتباعهمن غير فهم أو وقوف على إجابات محددة، خاصة وأنهم لا يتحصلون على ما يحتاجون إليه في هذا الدين المتشدد، فولادة لم تحقق مأربها في اختيار زوجها، إذ أنها حرمت من هذا الحق في إطار الدين المذكور، لا لشيء إلا لكون هذا الرجل لا ينتمي إلى دينها، هذا الأخير الذي يعتبر مثل هذا الفعل أمرا مخالفا لتشريعات، والحقيقة أن إصرار "هذام" على الأخذ بهذا الدين هو من باب التنازل من أجل العيش المشترك مع هذه المرأة التي وقع في حبائل حبها.

وعلى هذا الأساس، فإنه ما من فرصة لحدوث التعايش بين ديانتين مختلفتين، إلا من خلال تنازل أحدهما، وتقديم التسهيلات الممكنة، وهذا ما يؤكده قول السارد: «لذلك يحتاج العيش المشترك إلى فن متقن يتجاوز التسامح، الذي يحتل مكانة هامة في شبكة العلاقات الاجتماعية إلى فهم الآخر والثقة به وتبادل الاحترام معه...»[(2)].

[(1)]. أثير عبد الله النشمي، المصدر السابق، ص: 160.

[(2)]. عبد العزيز كحيل، نحو علاقة متوازنة مع الآخر، دار الخلدونية، الجزائر، (د ط)، 2019، ص: 15.

وأفضل مثال على ذلك شخصية "هذام"، هذا الأخير الذي تعرف على "ولادة" وأبدى إعجابه بها إلى حد كبير، ثم راح يطالبها بتعلم هذا الدين وتمثل مقوماته، ومن هنا نلحظ أن الديانات التي تعددت وتنوعت في الرواية لا تكف عن احترام الآخر، وعدم الإساءة إليه، ف"ولادة" أظهرت الاهتمام بكلام "هذام" وحاولت فهم مذهبه ورؤيته للحياة بكل جوانبها، كما أن ديننا الإسلامي يعترف بالآخر ولا يقصيه مهما كان الأمر، ولأجل ذلك، فإن "هذام" لم يلغي الطرف الآخر، المرأة التي أغرم بها، إذ أقر بها وبحبها بغض النظر عن ديانتها.

وفي موضع آخر من الرواية نقف عند أمارات التناقض الحاد بين تعاليم الدين الإسلامي،والذي ينهى عن الإتيان ببعض المحارم والتصرفات اللاأخلاقية؛ كالزنا والخيانة، لكن نرى هذا الأمر بعينه يمارس من طرف رجل مسلم، وخير مثال على ذلك شخصية "جهاد" الصديق المقرب ل"هذام"، فهذا الرجل مسلم، ومتزوج من امرأة مسيحية تدعى "مادلين"، لكن حسب ما تظهره الرواية، يكون قد خالف تعاليم هذا الدين، أين أقدم على خيانة زوجته، وممارسة الزنا (وهي من الكبائر) مع امرأة أخرى في فترة غيابها ولذلك نراها تنتفض، قائلة لهذام: «جيت وحصلت البيت كله شموع وزهر يا هذام ... ظننته منشاني... جهاد ما كان بيعرف إني جاية... يا الله شوبلهاء..»[1].

لا تجسد شخصية "مادلين" في هذه الرواية سوى دور المرأة المسيحية المثالية، التي كانت ولا تزال وفية لزوجها، إنها امرأة مؤمنة، إذ أنها تعد من المسيحيات المحافظات اللواتي لا يرتكبن خطيئة كتلك (خيانة زوجها)، على الرغم من أن زوجها "جهاد" لم يكن في الدرجة نفسها من الوفاء، وهنا يتبين لنا وجه المفارقة بين الإسلام والمسيحية، كون "جهاد" رجل مسلم خرج عن تعاليم دينه وخالف توجيهاته إشباعا لشهواته، فديننا الحنيف –كما نعلم– ينص على الانصراف عن هذه الشهوات ونبذ المحرمات، لكن يبدو أن "جهاد" تناسى ذلك، على خلاف الطرف الآخر "مادلين" التي كانت تعيش في كنف مجتمع متفتح أغلبية أفراده يفكرون عكس التيار، لكن رغم ذلك، إلا أنها لم تتخط حدودها، ولم تجرؤ على خيانة زوجها، لتبقى مثال المرأة المسيحية النموذجية والمحافظة على عرضها،

---

[1]. أثير عبد الله النشمي، في ديسمبر تنتهي كل الأحلام، ص: 85.

والصائنة لشرف زوجها، يقول السارد: «مادلين لم تكن من ذلك النوع من النساء... كانت امرأة مؤمنة على الرغم من بعض المعاصي الصغيرة... إلا أنها كانت تعد من المسيحيات المحافظات اللواتي لا يرتكبن خطيئة كتلك...»[1].

لقد بدا الجدل القائم في التصرفات، لا في الديانات، فمادلين المسيحية تظهر خصالا إسلامية، أما زوجها "جهاد" المسلم، فإنه يبدو خارجا عن قانون دينه، لا يفعل إلا قبيحا ومشينا، ورغم هذا وذاك إلا أن التقارب حاصل بين الديانة المسيحية والإسلام، ووفقا للشريعة الإسلامية، فإن المسيحيين هم أقرب الناس مودة للمسلمين، وقد عزى القرآن الكريم ذلك إلى تعبدهم وعدم استكبارهم، وذلك في قوله تعالى:﴿ ۞ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقۡرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنۡهُمۡ قِسِّيسِينَ وَرُهۡبَانًا وَأَنَّهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ٨٢ ﴾[2]، ففي هذه الآية الكريمة يذكر الله سبحانه جل وعلا مميزات المسيحيين من رحمة ورأفة، حيث أن ديننا الإسلامي لا يمنعنا من مساعدتهم، وتناول الطعام معهم، كما أنه أباح الزواج من نسائهم، وهو ما يعني السماح بتأسيس علاقات اجتماعية طبيعية، مثلما حدث معشخصيتي "جهاد" ومادلين"، أو مد جسور الصداقة بين الإنسان المسلم والمسيحي؛ ك "هذام" ومادلين"، وبالإضافة إلى ما سبق، فإن ديننا الحنيف يرفض رفضاً باتاً اعتداء المسلمين على المسيحيين ، ويدعوإلى عقد ميثاق السلام معهم.

نصل في الأخير إلى القول بأن رواية "**في ديسمبر تنتهي كل الأحلام**" للكاتبة "**أثير عبد الله النشمي**" كانت قد طرحت ثنائية الأنا والآخر من عدة مستويات، فقد حاولت من خلال سردها للعديد من التفاصيل والأحداث التي تدير رحاها جملة من الشخصيات، أن تبرز لنا الطابع الجدلي القائم، خاصة بين ثنائيتي (الشرق/ الغرب)، و(الذكورة/ الأنوثة)، وإن كانت على مستوى ثنائية الدين (الإسلام/ المسيحية) قد دعت إلى نوع من التعايش بين المعتنقين لهاتين الديانتين، مكتفية بجعل الصراع يتم على مستوى السلوكات والتصرفات الفردية، وهكذا، فإن تفعيلها لهذه الثنائيات يأتي ليعبر عن موقف الكاتبة في

[1]. أثير عبد الله النشمي، المصدر السابق، ص: 91، 92.
[2]. سورة المائدة، الآية: 82.

حد ذاتها، لأنها تعيش في مجتمع شرقي أولا، ثم إنها امرأة تعيش في مجتمع ذكوري يكرس باحتفاء تغييب أدوارها، وحرمانها من حقوقها المشروعة، هذا من ناحية ثانية، وما انخراطها في دائرة الكتابة الإبداعية إلا إثبات لوجودها، ورسم لمعالم هوية أنثوية لها خصوصيتها التي تميزها عن الذكر، وتؤكد قدرتها على مجاراته، ولما لا التفوق عليه في هذا الميدان.

خاتمة

خاتمة

من خلال دراستنا لموضوع جدلية الأنا والآخر في رواية "**في ديسمبر تنتهي كل الأحلام**" للكاتبة: "**أثير عبد الله النشمي**"، أمكننا استخلاص جملة من النتائج النهائية، والتي يمكن عرضها على النحو الآتي:

- تعتبر ثنائية الأنا والآخر من أبرز المسائل التي تناولتها الرواية العربية بمختلف أطيافها وتوجهاتها.

- جسدت رواية "**عصفور من الشرق**" "**لتوفيق الحكيم** نقطة الانطلاق نحو طرح ثنائية (الشرق/ الغرب)، أو الذات الشرقية الروحانية، والآخر الغربي ذو الذهنية المادية.

- ذهب "**واسيني الأعرج**" في روايته "**الأمير، مسالك أبواب الحديد**" إلى معالجة ثنائية الأنا والآخر، أين نظر إلى الآخر نظرة إيجابية، قائمة ومبنية على التسامح والحوار الحضاري والسلم والتعايش السلمي رغم اختلاف الديانات.

- تقدم رواية "**في ديسمبر تنتهي الأحلام**" تصور الروائية السعودية "**أثير النشمي**" لثنائية الأنا والآخر من منظورها الشخصي، إذ أنها تجعل طبيعة العلاقة بين طرفي هذه الثنائية تقول على الصراع والجدل، فالذات الشرقية تتواجد دائما في حالة تابع لمتبوع، وتتأكد هذه العلاقة الصراعية أكثر على مستوى الشخصيات الروائية.

- نمسك بتلابيب ثنائية (الشرق/ الغرب) من خلال سفر البطل المحوري "هذام العاصم" إلى مدينة "لندن"، وبالتالي انتقاله من فضاء تقليدي تحكمه العادات والتقاليد والأعراف، وتهيمن عليه العصبية القبلية والتزمت إلى آخر مختلف تماما، إنه عالم متحضر منفتح على مصراعيه، فلا حلال ولا حرام، ولا قيود تؤرقه.

- رسمت للمرأة صورة سلبية، إذ اعتبرت أساس الفساد الاجتماعي، خاصة وأن الصحفية "ليلى" هي التي حرضت "هذام" على التحرر، والخروج عن الأعراف الاجتماعية.

- بدت المرأة العربية الجديدة أكثر تحررا وانفلاتا وانحرافا أحيانا، وأفضل مثال على ذلك شخصية "ولادة"، على خلاف المرأة الغربية "مادلين" التي قدمت في صورة المرأة المحافظة المحتشمة، بل النموذج المثالي للنساء في مفارقة عجيبة، تدين المرأة العربية في مظهرها وسلوكاتها.

- تطغى على المجتمع السعودي السلطة الذكورية، التي تشخص جنسها الآخر الأنثى(أو المرأة العربية)، فتنظر إليه على أنه كائن ضعيف، منفلت، شهواني، ومزاحم للرجال في ساحات العمل، وهذا أمر مناف للدين والعادات والتقاليد، وبالتالي، فإن خروج المرأة لمزاولة أي مهنة يعد شبهة، بل خطيئة لا تغتفر.

- تدعو الكاتبة من خلالها تناولها لثنائية الدين (الإسلام/ المسيحية) إلى نوع من التعايش والتوافق بين مختلف التوجهات والأطياف العقائدية، وتنبذ –في المقابل– التحيز إلى دين ما، أو إقصاء شخص ما وحرمانه من حقوقه، بسبب الدين الذي يعتنقه.

وأخيرا نرجو أن نكون قد وفقنا في بحثنا هذا المتواضع، الذي نتمنى أن يكون إضافة فعلية إلى ساحة البحوث الأكاديمية، أملا في تحقيق النفع والفائدة العامة.

الملحق

1- نبذة عن حياة الكاتبة[1]:

هي "**أثير النشمي الأسعدي العتبي**" (من مواليد يونيو حزيران 1984)، كاتبة وروائية سعودية مقيمة في الرياض، وهناك تلقت تعليمها وتكوينها، عاشت رفقة أسرتها الصغيرة المكونة من والديها وأخ وحيد وأربع شقيقات، تميزت بثقافتها العالية وبأسلوبها الأدبي الفريد، خاصة في بعض رواياتها التي تتحدث فيها عن معاني الصداقة والحب والعاطفة، ومن أعمالها نذكر:

- رواية " أحببتك أكثر مما ينبغي"، صدرت سنة 2009، دار الفارابي للنشر.
- رواية في ديسمبر تنتهي كل الأحلام، والتي صدرت سنة 2011، عن دار الفارابي للنشر أيضا.
- رواية " فلتغفري"، صدرت سنة 2013، عن الدار نفسها.
- رواية " ذات فقد"، صدرت سنة 2015،عن الدار نفسها.
- رواية " عتمة الذاكرة"، صدرت سنة 2016، عن الدار نفسها.

• من أشهر أقوالها: «نحن لا نفقد سوى ما نخشى فقده لأننا عادة لا نشعر بفقدان ما لا يشكل لنا أهمية تذكر».

---

[1]. ينظر الموقع الإلكتروني: https: ar.m.wikibedia.org، تاريخ الإطلاع: 2021/05/24، وقت الإطلاع: 20:28 سا.

2- مضمون الرواية:

تدور أحداث رواية "**في ديسمبر تنتهي كل الأحلام**" للكاتبة "**أثير عبد الله النشمي**"، حول شاب سعودي يعمل في مهنة الصحافة يدعى "هذام"، ينتمي إلى أسرة محافظة جداً، حيث يصطدم هذا الأخير، باعتباره بطلا محوريا في الرواية بعادات وتقاليد مجتمعه، فالإنسان اجتماعي بطبعه يتأثر بالمحيط الذي يعيش فيه، ومنه فإن أفكاره تتشكل وفق ما تريده العائلة والمجتمع، ويحدث أن يقابلهذا الشابزميلة له في العمل تسمى "ليلى"، فيتفاجأ بجرأتها وتحررها هو وغيره من الزملاء، وهنا تظهر سطوة المجتمع الذكوري بسبب نظرته المعادية للمرأة العاملة جنبا إلى جنب مع الرجل، خاصة وأن هذه الأنثى ذات شخصية قوية، جريئة تدافع عن المرأة بشكل خاص، وعن حقوقها داخل المملكة العربية السعودية، ويعجب بها "هذام" لدرجة كبيرة، ويقع في حبها، إذ يوازي بينه وبينها منحيث طبيعة الأحلام وطرائق التفكير، فتظهر له أحلامه سطحية مقارنة بها، فهي امرأة متحررة، تصارع وتثور على تقاليد وإيديولوجية مجتمعها، ويصل به الأمر أن يطلبها للزواج، إلا أن عائلته ترفض ذلك وتقف أمام حبه كعائقيمنع زيجته بها، فتقاليد وأعراف عائلته لن تسمح لمثل هذا الزواج أن يتم، ونلمس من خلال قراءتنا لهذه الرواية أن شخصية "هذام" هي شخصية ضعيفة، معتادة على الخضوع لقرار أسرته، لكنه في المقبل لم يستطع كسر قراراتها، ويقرر السفر إلى الغرب (مدينة لندن) في شهر ديسمبر، تاركاً وراءه كل شيء، وقد كان وراء تشجيعه على هذا التحرر وخوض غمار الاغتراب حبيبته "ليلى"، إذ يجد هذا الأخير في الغرب حياة جديدة تحتوي على كم كبير من الانعتاق والحريات المختلفة المغايرة للمألوف، والتي يفتقر إليها في بلده الأصلي، وهناك عاش حياة التحرر إلى أبعد الحدود، وكما يحلو له، إذ تشير بعض الأحداث في الرواية أنه قد غرق في حياة الفوضى واللامبالاة، فنجده ينغمس في الشهوات والمحرمات، إذ يمارسها دون أي قيد يحكمه، وفي هذه الفترة يقابل "هذام" امرأةأخرى، فيقيم علاقة معها،لأنه تثير

إعجابه كثيراً، دون أن يتعرف على أصلها، بعدها يغرم بها ويتبادلان مشاعر الحب، يصر بعد ذلك على معرفتها فيدرك أنها عراقية الأصل، تسمى "ولادة"، وهي لاجئة في مدينة "لندن"، وهذه المرأة قد تركت بلدها بسبب رفض أهلها زواجها من شاب تحبه يعتنق ديناً غير دينها، وهذا ما يرفضه مجتمعها هناك، حيث نجد "هذام" يسرد لنا قصة حبه لها، كما تدور بينهما نقاشات تعبر عن نظرة كل منهما إزاء الحياة، وعن نمط عيشهما في هذا المجتمع الغربي، لكن سرعان ما تختفي هذه المرأة من حياة "هذام" بشكل مفاجئ،ومن خلال النقاش الأخير الذي دار بينه وبين "ولادة"، يكتشف أن شيئاً ما تحرك داخله نحو وطنه، على الرغم من إصراره على عدم العودة إليه، ومجمل القول أن هذه الكاتبة السعودية "**أثير عبد الله النشمي**" تكون قد وصفت لنا في هذه الرواية "في ديسمبر تنتهي كل الأحلام" دلالة الحزن الذي يختلج القلب، وانتماء الإنسان إلى وطنه، كما تطرقت إلى الحالة النهائية والانهزامية للكاتب والصحفي السعودي، الذي تخلى عن وطنه مسافراً إلى "مدينة لندن"، بعد وقوف عائلته أمام رغبته، ورفض قراره بالزواج من محبوبته، تاركاً كل شيء وراءه...

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم رواية ورش عن عاصم.

أولا: المصادر

1) النشمي، أثير عبد الله، في ديسمبر تنتهي كل الأحلام، دار الفرابي، بيروت، لبنان، ط1، 2011.

ثانيا: المراجع

أ. العربية

2) أبيش، سمير، دور اللغة القومية في بناء وتشكيل الوحدة الوطنية (تجربة المجتمعات الأوروبية نموذجا)، ضمن أعمال اليوم الدراسي: الأمن الثقافي اللغوي والانسجام الجمعي، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، (دط)، 2018.

3) أسعد، ميخائيل إبراهيم، شخصيتي كيف أعرفها؟ دار الآفاق اللبنانية، لبنان، ط3، 1987.

4) الأعرج، واسيني، كتاب الأمير، مسالك أبواب الحديد، منشورات الجمل، بيروت، لبنان، ط1، 2005.

5) أمين، أحمد، الشرق والغرب، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، (د ط)، 1955.

6) بحراوي، حسن، بنية الشكل الروائي، (الفضاء، الزمن، الشخصية)، لمركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1990.

7) بلخير، ليلى محمد ، في خطاب المؤنث في الرواية الجزائرية، منشورات مؤسسة حسين رأس الجبل للنشر والتوزيع، قسنطينة، الجزائر، (د ط)، 2016.

8) بن بوزة، سعيدة، الهوية والاختلاف في الرواية النسوية في المغرب العربي، دار نينوى، دمشق، سورية، ط1، 2016.

9) بن عبد العالي، عبد السلام، هايدغر ضد هيجل (التراث والاختلاف)، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط2، 2006.

10) الجرجاني، الشريف علي بن محمد، التعريفات، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د ط)، 1995، مادة هوي.

11) الجزار، هاني، أزمة الهوية والتعصب، (دراسة سيكولوجية الشباب)، هلا للنشر والتوزيع، الجيزة، مصر، ط1، 2011.

12) جلال، شوقي، من وحي الشرق، إصدارات المجلة العربية؛ الرياض، ط1، 2013.

13) الحداد، عباس يوسف، الأنا والآخر في الشعر الصوفي، ابن الفارض أنموذجا، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، ط2، 2009.

14) الحكيم، توفيق، عصفور من الشرق، دار مصر للطباعة، مصر، (دط)، (دس).

15) حمود، ماجدة، إشكالية الأنا والآخر، نماذج روائية عربية، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، (دط)، 2019.

16) الدّاوي، عبد الرزاق، في الثقافة والخطاب، عن حرب الثقافة والخطاب، (حوار الهويات الوطنية في زمن العولمة)، إعداد المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، ط1، 2013.

17) الذويخ، سعد فهد ، صورة الآخر في الشعر العربي من العصر الأموي حتى نهاية العصر العباسي، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2009.

18) زيدان، حاتم، العيد جلولي، جمالية المراوغة والتوظيف الضمائري للأنا والآخر عبر اللغة الشعرية.

19) السليماني، أحمد ياسين، التجليات النفسية لعلاقة الأنا والآخر في الشعر العربي المعاصر، دار الزمان، دمشق سوريا، (د ط، د س).

20) شامة، محمد، بين الإسلام والمسيحية، كتاب أبي عبيدة الخزرجي، مكتبة وهبة، عابدين الإسكندرية، مصر، (د ط، د س).

21) شريط، أحمد شريط، تطور البنية الفنية في الرواية، الرواية الجزائرية المعاصرة، منشورات اتحاد العرب، دمشق، سوريا، (د.ط)، 1998.

22) شوقي جلال، من وحي الشرق، إصدارات المجلة العربية؛ الرياض، ط1، 2013.

23) علام، عمرو عبد العالي، الأنا والآخر، (الشخصية العربية والشخصية الإسرائيلية في الفكر الإسرائيلي المعاصر)، دار العلوم، القاهرة، مصر، ط1، 2005.

24) عمارة، محمد، مخاطر العولمة على الهوية الثقافية، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، ط1، 1999.

25) الغذامي، عبد الله محمد، ثقافة الوهم، مقاربات حول المرأة والجسد واللغة، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1988.

26) القعود، فاضل أحمد، جدلية الذات والآخر في الشعر الأموي، دار غيداء لنشر والتوزيع، عمان، (دط)، 2012.

27) كحيل، عبد العزيز، نحو علاقة متوازنة مع الآخر، دار الخلدونية، الجزائر، (د ط)، 2019.

28) كوسه، علاوة، بلقيس (بكائية آخر الليل!!!)، الإمارات العربية للنشر، ط 1، 2012.

29) مرتاض، عبد الملك، في نظرية الرواية، بحث في تقنيات السرد، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون، الكويت، (د.ط)، 1998.

30) المسكيني، فتحي، الهوية والزمان، (تأويلات فينومولوجية مسألة "النحن")، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 2001.

31) نجم، صالح إبراهيم، جدلية الأنا والآخر في الشعر الصوفي على امتداد القرنين السادس والسابع الهجريين، أطروحة دكتوراه، سوريا، 2013.

32) النملة، علي بن إبراهيم، الشرق والغرب، منطلقات العلاقات ومحدداتها، بيسان للنشر والتوزيع والإعلام، بيروت، لبنان، ط1، 2010.

33) يوسف، آمنة، تقنيات السرد في النظرية والتطبيق، دار الحوار للنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1997.

ب. المترجمة

34) بوتور، ميشال، بحوث في الرواية الجديدة، تر: فريد أنطونيوس، منشورات عويدات، بيروت- باريس، ط3، 1986.

35) جامبل، سارة، النسوية وما بعد النسوية، دراسات ومعجم نقدي، تر: أحمد الشامي، المجلس الأعلى للثقافة، مصر، ط1، (د س).

36) ريكور، بول، الذات عينها كآخر، تر: جورج زيناتي، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، ط1، 2005.

37) سكوت، جون، علم الإجتماع، المفاهيم الأساسية، تر: محمد عثمان، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، ط1، 2009.

ثالثا: المعاجم والقواميس

38) ابن منظور، أبوالفضل جمال الدين محمد بن مكرم ، الإفريقي لسان العرب، مج13، دار صادر، بيروت، ط4، 2005.

39) الزبيدي، مرتضى الحسني، تاج العروس من جواهر القاموس، دار الهداية، بيروت، لبنان، (د ط، د س).

40) الفراهيدي، الخليل بن أحمد، كتاب العين، تح: مهدي المخذومي وإبراهيم السامري، دار الحرية للطباعة، بغداد، (د.ط)، 1984.

41) الفيروز آبادي، مجد الدين بن محمد يعقوب ، القاموس المحيط، دار الحديث، القاهرة، (د ط)، 2008.

42) نعمة، أنطوان، وآخرون، المنجد في اللغة العربية المعاصرة، دار المشرق، بيروت، لبنان، ط1، 2000.

رابعا: المجلات والدوريات

43) مجلة الأثر، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، الجزائر، ع29، 2017.

44) تصورات الأمومة وعلاقتها بتصور الذات لدى الفتاة الجامعية، مجلة التنمية البشرية، جامعة وهران2، الجزائر، ع3، فبراير، 2011.

خامسا: المواقع الإلكترونية

45) https: ar.m.wikibedia.org.

فهرس الموضوعات

مقدمة .... أ–ج

مدخل تحديد مفاهيمي 7

أوّلا: الأنا والآخر 8

1– مفهوم الأنا: 8

2– مفهوم الآخر: 11

ثانيا: مفهوم الهويّة 14

الفصل الأول: تمثلات الأنا والآخر في الرواية العربية 23

1– تمثلات ثنائية الشرق/ الغرب: 27

2– تمثلات ثنائية الذكورة/الأنوثة: 32

2–1– مفهوم الذكورة والأنوثة: 32

2–2. تمثلات ثنائية الذكورة والأنوثة في رواية "بلقيس لعلاوة كوسة": 35

3– تمثلات ثنائية المسيحية/ الإسلام ("كتاب الأمير، مسالك أبواب الحديد لواسيني الأعرج) 37

الفصل الثاني: جدلية الأنا والآخر في رواية «في ديسمبر تنتهي كل الأحلام» لـ "أثير عبد الله النشمي" 41

1. الشرق/الغرب: 42

1–1. الشخصيات: 43

1–1–1. الشخصيات المحورية (الرئيسية): 43

1–1–2. الشخصيات الثانوية: 47

2- الرجولة / الأنوثة (الذكر/ الأنثى):..58

3. المسيحية / الإسلام:..65

خاتمة 66

الملحق...66

قائمة المصادر والقمراجع 66